الشيخ / عبد الحميد كشك

أمراض القلوب وشفاؤها

إعداد

د/ كامل عويضة

دار الروضة للنشر والتوزيع
القاهرة -٢ درب الأتراك خلف الجامع الأزهر
ت:٢٥٠٦٦٨٨٤ - ٠١٢٢٢٣٦٠٨٩٩٥
Darelrwdaamms @ yahoo.com

دار الروضة

حائز على شهادات تقدير

من المعارض الدولية والعالمية

* عضو اتحاد الناشرين والمصريين والعرب
* عضو الاتحاد الإسلامي العالمي للدعوة والإعلام

الطبعة الأولى

سنة:

رقم الإيداع: ٢٠١٦/١١٣٠٩

الترقيم الدولي: 978-977-458-145-4

فضيلة الشيخ عبد الحميد كشك
رحمه الله تعالى

الحمد لله على نعمه، والصلاة والسلام على خيرة أممه، أما بعد: فإنَّ فضيلة الشَّيخ الدَّاعية الكبير عبد الحميد كشك، من أبناء مصر، ولد ومات فيها، عُرف بجودة الخطابة، وحسن الإلقاء، والوعظ البليغ، إذا سمعت إليه، لا تستطيع أن تتركه إلاَّ إذا انتهى، وإذا انتهى سألته الإعادة.

ومع هذا فهو من علماء الحديث، والتفسير، والفقه، والعربية، شاعر، ناقد، حافظ، نحوي، ومجود لكتاب الله سبحانه وتعالى، عالم بأحكام الآيات، وعلوم القرآن الكريم، وهو من علماء الأزهر الشَّريف.

وقد عُرف فضيلة الشَّيخ بزهده، وتواضعه، واحترامه للصغير والكبير، وكان رحمه الله من الذين يدعون إلى الله ﷻ، وإلى توحيده، وإلى نبذ البدع والخرافات.

وللشيخ رحمه الله تعالى كتب شافية كافية مقنعة لطالب الحق، لوضوح أدلته وحسن أسلوبه، وإنصافه لخصمه على ضوء الكتاب والسنة، فأجزل الله مثوبته وغفر الله ما تقدَّم من ذنبه وما تأخَّر، إنه سميع قريب.

وقد وضَّح الشيخ في خطبه هدى الإسلام في شتى شئون الحياة ومجالاتها السياسية، والاقتصادية، والعلمية، والاجتماعية، والنفسية، والفنية، وغيرها.

وهو إنتاج غزير من الخطب ثرّ متنوع، وثمت عالم ومفكر، له قدم راسخة في ميادين الدعوة والإصلاح، حيث قضى الشَّيخ رحمه الله زمنًا طويلاً بين الإمامة والخطابة والتدريس في مساجد وزارة الأوقاف المصرية، وفي آخر حياته حينما أوقف عن الخطابة، كانت له صفحة في مجلة اللواء الإسلامي، نسأل الله تعالى أن يرحمه، ويسكنه فسيح جناته من النبيين، والصالحين، وحسن أولئك رفيقا.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ، ونستهديه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهدي الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله.

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ }[آل عمران :١٠٢].

{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً }[النساء : ١].

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً }[الأحزاب : ٧٠- ٧١].

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار، **ثم أما بعد:**

فهذا كتاب "**دواء القلوب**"، وهو كتاب يعالج مشكلة الروح والنفس بالكتاب والسنة ، وأقوال سالف الأمة الصالح .

إن الكتاب والسنة الصحيحة هما المصدر الأساسي للحق ، والمنبع الصافي لدين الإسلام ، فيهما المنهج الكامل لحياة البشر ، وهما الميزان الصحيح الذي توزن به الأقوال والأعمال والأفعال ، وبالإعراض عنهما ، والصد عن سبيلهما تقع الفتن ، وتحل الرزايا والمحن .

ولقد تضافرت أدلة الكتاب والسنة وأقوال السلف في التنبيه على هذا الأمر العظيم الاعتصام بالكتاب والسنة ، وأن التمسك بهما سبب رئيس في النجاة من الفتن كلِّها. فمن أدلة القرآن على وجوب الاعتصام بالقرآن قوله ﷻ: { وَاعْتَصِمُوا

بِحَبْلِ اللَّـهِ جَمِيعـاً وَلا تَفَرَّقُـوا } [آل عمـران : ١٠٣] ، وقـد جـاء عـن الـسلف تفـسيرات عديـدة فـي المـراد بالحبـل ، لا تعـارض بينهـا ، وممـا ذكـروا فـي تفـسير الحبـل أنـه القـرآن ، **وقال الطبري عند قولـه سبحانه** : { وَلا تَفَرَّقُوا } ، يعنـي جل ثناؤه بقولـه : ولا تتفرقوا عن دين الله وعهده الذي عهد إليكم في كتابه من الائتلاف والاجتماع على طاعته وطاعة رسوله والانتهاء إلى أمره.

وقـد لخـص الإمـام ابـن القـيم رحمـه الله حقيقـة الاعتـصام بـالقرآن بقولـه : وهـو تحكيمـه دون آراء الرجـال ومقاييـسهم ، ومعقـولاتهم وأذواقهـم وكـشوفاتهم ومواجيـدهم . فمـن لـم يكـن كـذلك فهـو مُنـسل مـن هـذا الاعتـصام . فالـدين كلـه فـي الاعتـصام بـه وبحبلـه ، علمًـا وعمـلاً ، وإخلاصًـا واستعانة ، ومتابعة ، واستمرارًا على ذلك إلى يوم القيامة. وإن هذا الأمر وهو الدعوة إلى الاعتصام بالكتاب والسنة قد جاء مقررًا في

القرآن بأساليب الترغيب كما في قوله سبحانه : { وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ }[آل عمران : ١٣٢ } ، وقوله : {وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقاً} [النساء : ٦٩].

أسأل الله تبارك وتعالى أن يقينا شر المعصية ، وأن يقبضنا وإياكم على المحجة البيضاء ، اللهم اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا ، وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين ، اللهم اجعل الحياة زيادة لنا في كل خير، واجعل الموت راحة لنا من كل شر، اللهم قنا الفتن ما ظهر منها وما بطن ، اللهم لا تجعل الدنيا أكبر همنا ، ولا مبلغ علمنا ، ولا تجعل مصيبتنا في ديننا ، ولا تسلط علينا بذنوبنا من لا يخافك فينا ولا يرحمنا ، رب آت نفوسنا تقواها ، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها ، اللهم اغفر لنا هزلنا وجدنا ، وخطأنا

وعمدنا وكل ذلك عندنا ، اللهم بلغني ما أملت وما رجوت ، وأعد عليَّ وعلى المسلمين من بركاتهم ونفحاتهم يا رب العالمين، وسلام على عباده الذين اصطفى، والحمد لله رب العالمين.

وكتبه ،

كامل عويضه،،

الباب الأول

في فضل العقل

قال أبو عبد الله الحارث بن أسد بن عبد الله المحاسبي البصري رحمة الله عليه : سألت عن العقل ما هو؟ وإني أرجع إليك في اللغة والمعقول من الكتاب والسنة ، **وتراجع العلماء فيما بينهم بالتسمية ثلاثة معاني :**

أحدها : هو معناه لا معنى له غيره في الحقيقة .

والآخران : اسمان جوزتهما العرب إذ كانا عنه فعلا لا يكونان إلا به ومنه ، وقد سماها الله تعالى في كتابه وسمتها العلماء عقلا ، فأما ما هو في المعنى في الحقيقة لا غيره فهو غريزة وضعها ، فهو غريزة لا يعرف إلا بفعاله في القلب والجوارح لا يقدر أحد أن يصفه في نفسه ولا في غيره بغير أفعاله ، لا يقدر أن يصفه بجسمية ولا بطول ولا بعرض ولا طعم ولا شم ولا مجسة ولا لون ولا يعرف إلا بأفعاله.

وقال قوم من المتكلمين : هو صفوة الروح أي خالص الروح ، واحتجوا باللغة ، **فقالوا** : لب كل شيء خالصه فمن أجل ذلك سمي العقل لبا ، وقال الله ﷻ: { إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ} [الزمر : ٩] ، **يعني** : أولي العقول ، ولا نقول ذلك إذا لم نجد فيه كتابا مسطورا ولا حديثا مأثورا.

وقال قوم : هو نور وضعه الله طبعا وغريزة يبصر به ويعبر به ، نور في القلب كالنور في العين وهو البصر ، فالعقل نور في القلب والبصر نور في العين فالعقل غريزة يولد العبد بها ثم يزيد فيه معنى بعد معنى بالمعرفة بالأسباب الدالة على المعقول .[(١)] وقد زعم قوم أن العقل معرفة نظمها الله ووضعها في عباده يزيد ويتسع بالعلم المكتسب

---

(١) راجع: " مائية العقل ومعناه واختلاف الناس فيه " للحارث بن أسد بن عبد الله المحاسبي أبو عبد الله ، الناشر : دار الكندي ، دار الفكر – بيروت . ط ٢ ، سنة ١٣٩٨م ، تحقيق : حسين القوتلي.

الدال على المنافع والمضار والذي هو عندنا أنه غريزة والمعرفة عنه تكون ، وكذلك الجنون والحمق لا يسمى نكرة ؛ لأنه لو كان المعرفة هو العقل سمي الجنون نكرة والحمق نكرة لأن النكرة ضد المعرفة والجهل ضد العلم.

وقد قسم الجرجاني العقل إلى :

أ) **العقل الهيولاني:** وهو الاستعداد المحض لإدراك المعقولات ، وهو قوة محضة خالية عن الفعل كما في الأطفال ، وإنما نسب إلى الهيولى ؛ لأن النفس في هذه المرتبة تشبه الهيولى الأولى الخالية في حد ذاتها عن الصور كلها. ب) **العقل بالملكة:** وهو العلم بالضروريات ، واستعداد النفس بذلك لاكتساب النظريات.

ت) **العقل بالعقل:** أن تصير النظريات مخزونة ضد القوة العاقلة بتكرار الاكتساب بحيث يحصل لها ملكة الاستحضار متى شاءت في غير تجشم كسب جديد.

ث) العقل المستفاد: أن يحضر عنده النظريات التي أدركها بحيث لا تغيب عنه.[1]

قال الإمام ابن القيم : قد اختلف الناس في ماهية العقل ومسكنه ، وأطالوا ، وقد رُويت في فضله أحاديث كثيرة ، وقد ذكرنا جملةً من ذلك في كتابنا المسمى بذم الهوى فلا نعيدها بل نذكر هاهنا جملة ، **فنقول :** إنما يعرف فضل الشئ بثمرته ، ومن ثمرات العقل معرفة الخالق سبحانه ، فإنه استدل عليه حتى عرفه ، وعلى صدق الأنبياء حتى علمه .

وحث على طاعة الله ، وطاعة رسله ، ودبر في نيل كل صعب حتى ذلل البهائم.

---

[1] راجع: " التوقيف على مهمات التعاريف " ، للعلامة محمد عبد الرءوف المناوي ، الناشر : دار الفكر المعاصر ، دار الفكر – بيروت ، دمشق ، ط١ ، ١٤١٠ هـ ، تحقيق : د. محمد رضوان الداية.

وعلمه صناعة السفن التي بها يتوصل إلى ما حال بيننا وبينه البحر، واحتال على طير الماء حتى صِيدت.
وعينه أبداً تراقب العواقب وتعمل بمقتضى السلامة فيها والعوز ، ويترك العاجل للآجل.
وبه فضل الآدمي على جميع الحيوان الذي فقده ، وبه تأهل الآدمي لخطاب الله سبحانه وتكليفه . وبه يبلغ الإنسان غاية ما في جوهر مثله أن يبلغه من خير الدنيا والآخرة من العلم والعمل . وكفى بهذه الأشياء فضيلة لا يبغضها . فليكتف بهذه الجملة عن الإطالة.
قال الحكيم الترمذي : أعوان العقل خمسون : وللعقل خمسون عوناً ، وللهوى خمسون عوناً : قال أبو عبد الله رحمه الله، أما العقل أوله ، ثم الفهم ، ثم البصر ، ثم المعرفة ثم اليقين ، ثم الفقه ، ثم الوقف ، ثم الحلم ، ثم الإلهام ، ثم الإخلاص ، ثم التواضع ، ثم السخاوة ، ثم الصواب ، ثم

النصيحة ، ثم الحسبة ، ثم النية ، ثم الشفقة ، ثم المداراة ، ثم الورع ، ثم الشكر ، ثم الرضا ، ثم الصبر ، ثم الخوف ، ثم التقوى ، ثم الجهد ، ثم الاستقامة ، ثم الزهد ، ثم الفراسة ، ثم الألفة ، ثم الإنابة ، ثم الشوق ، ثم التضرع ، ثم الحب ، ثم الحفظ ، ثم الصدق ، ثم الهدى ، ثم الذهن ، ثم الفراغة ، ثم الأمن ، ثم التوكل ، ثم الثقة ، ثم القناعة ، ثم التفويض ، ثم العافية ، ثم الراحة ، ثم الخشوع ، ثم التفكر ، ثم العبرة ، ثم الاستخارة ، ثم السلامة ، ثم المنزلة ، ثم العزلة ، ثم التهيؤ.[١]

تفسير العقل : والعقل ما أكرم الله به العباد وضده الهوى ، وشكل العقل اليقين ، والعقل من العاقل ، وهو عقد المؤمن بين إيمانه وبين أن يكفر ، والهوى ، هو عقد للكافر بين كفره

---

[١] راجع : " العقل والهوى "، للعلامة الحكيم الترمذي.

وبين أن يؤمن، لقول الله تعالى: { يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ } [الأنفال: ٢٤] ، يقول : يحول بين المؤمن وبين أن يكفر ، وبين الكافر وبين أن يؤمن ؛ لأن الله تعالى خلقك ، وهداك ، وعرفك بوحدانيته ، حتى عرفت أنه واحد لا شريك له.

ولا يقدر الشيطان أن يشك بالله ، لأجل تعريفه إياك فالمنّة لله على ذلك . والعقل أيضا عقد بين الطاعة والمعصية ، فيعقد ويفتح : فحيث يكون العقد في والخوف والتفكر والحفظ والعاقبة عن هذا ؛ فأول ما يشككه الشيطان بالمعصية . فحيث يغفر العبد عن هذا فيشككه الشيطان حتى يقع في الذنوب ، ولم يذهب ذلك العقل الأول لأنه لا يرضى بقلبه بالمعصية لله ، وإنما يرضى بقلبه لأجل نهمة النفس ، حتى غفل عن عاقبة الذل والهوان. ويكون أيضاً عقداً بين بدعة المبتدع وبين سنة السني ، فيعقد ويفتح فحيث يكون العقد في

الخوف والحفظ والتفكر لعاقبته ؛ فأول ما يشككه الشيطان حتى يوقعه في البدعة ، فإذا أوقعه في البدعة ؛ فلم يذهب ذلك العقل الأول عنه.

ويكون ذلك أيضا عقداً بين زهد الزاهد وبين رغبة الراغب ، فيعقد ويفتح ، فحيث يكون العبد في الخوف والحفظ والتفكر لعاقبة الحساب الشديد ، والحبس عن الجنة ، والتقصير في الدرجة ، وسؤال الله إياه من أين اكتَسَبْت ، وفي ماذا أنفقت ، وماذا أردت به ؛ فأول ما يشككه الشيطان حتى يوقعه في الرغبة في الدنيا ، فإذا أوقعه فلم يذهب عنه ذلك العقل الأول فهذا تفسير العقل.[١]

* * *

[١] أنظر : المصدر السابق.

الباب الثاني

في ذم الهوى

قال ابن القيم : الهوى ميل الطبع إلى ما يلائمه ، فلا يذم هذا المقدار إذا كان المطلوب مباحاً ، وإنما يذم الإفراط فيه . فمن أطلق ذم الهوى فلأن الغالب فيه ما لا يحل أو يتأمل المباح بإفراطه ، واعلم أن النفس منها جزء عقلي فضيلته الحكمة ورذيلته الجهل ، وجزء غضبي فضيلته الحدة ورذيلته الجبن.

وجزء شهواني فضيلته العفة ، ورذيلته إطلاق الهوى ، فالصبر عن الرذائل فضيلة للنفس ؛ بها يحتمل الإنسان الخير. فمن قل صبره فحكَّم هواه على عقله فقد صير المتبوع تابعاً والمأموم إماماً ، فلا جرم أن جميع ما يرومه ينعكس عليه ، فإنه يتأذى من حيث قدر النفع ويحزن من حيث أراد الفرح . وإنما فضل الآدمي على الحيوان البهيمي بالعقل الذي

أمر بكف الهوى ، فإذا لم يقبل قوله وحكم الهوى كان الحيوان البهيمي أعذر من الآدمي .

ويدل على فضل خلاف الهوى تقديم كلب الصيد وإكرامه على أبناء جنسه ، وذلك لمكان مخالفته للهوى من حبس ما صاده على صاحبه دون أكله خوفاً من عقوبته أو شكراً لنعمته.[1] **قال الشاطبي** : سمى الهوى هوى، لأنه يهوي بصاحبه إلى النار.[2] وقال ابن عباس : ما ذكر الله عز وجل الهوى في كتابه إلا ذمه!!.[3] **وأصل الضلال** : إتباع الظن والهوى ، **كما قال تعالى فيمن ذمهم** : { إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى إن يتبعون }[النجم :٢٣].

---

[1] **راجع** : " الطب الروحاني "، للإمام ابن القيم.

[2] **راجع** : " الموافقات " للشاطبي ، ج ٤.

[3] **أنظر** : " الموافقات " ج٤ ، ص ١١٥ .

وهذا وصف للكفار فكل من له نصيب من هذا الوصف فله نصيب من متابعة الكفار بقدر ذلك النصيب، وقال تعالى في حق نبيه ﷺ : { وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى (١) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى (٢) وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى (٤) عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى (٥) ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى } [النجم : ١-٦]. فنزهه عن الضلال والغواية ، **الذين هما** : الجهل والظلم، فالضال هو الذي لا يعمل الحق، والغاوي الذي يتبع هواه.

وأخبر أنه لا ينطق عن هوى النفس ، بل هو وحي أوحاه الله إليه. فوصفه بالعلم ونزهه عن الهوي.[١]ومتبع الهوى لا بد أن يضل ، سواء عن علم أو عن جهل ، فإنه كثيراً ما يترك العلم اتباعاً لهواه ، ولا بد أن يظلم إما بالقول أو بالفعل ؛ لأن هواه قد أعماه.

---

[١] **أنظر:** " فتاوى ابن تيمية " ج ٣ ، ص ٣٨٤ .

ولهذا حذر السلف عن مجالسة من هذه صفته، **كما قال أبو قلابة** : لا تجالسوا أهل الأهواء، ولا تجادلوهم، فإني لا آمن أن يغمسوكم في ضلالتهم أو يلبسوا عليكم ما تعرفون.[١]

وقال أيضا: لا تجالسوا أهل الأهواء فإنكم إن لم تدخلوا فيما دخلوا فيه لبسوا عليكم ما تعرفون[٢]. **يعني** : أن مجلس صاحب الهوى لا يسلم من الشر. فإما أن يتابع صاحب الهوى على هواه وباطله ، أو يدخل عليه شبهة في دينه الذي يعرف أنه حق.

وقال ابن عباس : لا تجالس أهل الأهواء فإن مجالستهم ممرضة للقلوب.[٣]

---

[١] رواه **ابن بطة** في الإبانة رقم (٣٦٣) ، واللالكائى رقم (٢٤٤) ، والدارمى ج ١ ، ص١٠٨.

[٢] رواه **ابن بطة** في الإبانة رقم (٣٦٧).

[٣] رواه **ابن بطة** في الإبانة رقم (٣٧١).

وقال **إبراهيم النخعي** : لا تجالسوا أهل الأهواء فإن مجالستهم تذهب بنور الإيمان من القلوب ، وتسلب محاسن الوجوه ، وتورث البغضة في قلوب المؤمنين ".[1]

وقال **مجاهد** : لا تجالسوا أهل الأهواء فإن لهم عرة كعرة الجرب.[2]**يعني** : أنهم يعدون من قرب منهم ، كما أن من قارب الأجرب جرب.

وقال **محمد بن علي** : لا تجالسوا أصحاب الخصومات فإنهم الذين يخوضون في آيات الله ".[3]

يقصد قوله تعالى : { وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى

---

[1] رواه ابن بطة رقم (٣٧٥).

[2] رواه ابن بطة رقم (٣٨٢) .

[3] رواه ابن بطة رقم (٣٨٣) ، والدارمى في السنن ج ١ ، ص ١١٠ ، واللالكائى رقم (٢٣٣).

يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذاً مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعاً } [النساء : ١٤٠].

وقال مصعب بن سعد : لا تجالس مفتونا فإنه لن يخطئك منه إحدى اثنتين إما أن يفتنك فتتابعه ! وإما أن يؤذيك قبل أن تفارقه" !!.[١]

وقال يونس بن عبيد : أوصيكم بثلاث : لا تمكنن سمعك من صاحب هوى ، ولا تخل بامرأة ليست لك بمحرم ، ولو أن تقرأ عليها القرآن ، ولا تدخلن على أمير ولو أن تعظه.[٢]

وقال أبو قلابة يوصي أيوب السختياني : يا أيوب احفظ عني أربعاً : لا تقل في القرآن برأيك، وإياك والقدر، وإذا ذكر أصحاب محمد ﷺ فأمسك، ولا تمكن أصحاب الأهواء من

---

[١] رواه ابن بطة رقم (٣٨٥).

[٢] رواه ابن بطة رقم (٣٨٧).

سمعك فينبذوا فيه ما شاءوا.[1] **وقال أبو الجوزاء** : لئن تجاورني القردة والخنازير في دار أحب إلي من أن يجاورني رجل من أهل الأهواء.

وقد دخلوا في هذه الآية : { هَا أَنْتُمْ أُولاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ }[آل عمران :١١٩].[2]

قال ابن بطة : قال رسول الله ﷺ: ((من سمع منكم بخروج الدجال فلينأ عنه ما استطاع ، فإن الرجل يأتيه وهو يحسب أنه مؤمن فما يزال به حتى يتبعه لما يرى من الشبهات)).[3]

---

[1] رواه ابن بطة رقم (٣٩٧) واللالكائى رقم (٢٤٦).

[2] رواه ابن بطة رقم (٤٦٦) واللالكائى (٢٣١).

[3] حديث عمران بن حصين : أخرجه ابن أبي شيبه (١٩ / ١٢٥ ، رقم ٣٨٦١٤).

قال : هذا قول الرسول ﷺ ، وهو الصادق المصدوق، فلا يحملن أحداً منكم حسن ظنه بنفسه وما عهده من معرفته بصحة مذهبه على المخاطرة بدينة في مجالسة بعض أهل هذه الأهواء ، **فيقول** : أداخله لأناظره أو لأستخرج منه مذهبه فإنهم أشد فتنة من الدجال ، وكلامهم ألصق من الجرب ، وأحرق للقلوب من اللهب ، ولقد رأيت جماعة من الناس كانوا يلعنونهم ويسبونهم فجالسوهم على سبيل الإنكار والرد عليهم فما زالت بهم المباسطة وخفي المكر ودقيق الكفر حتى صبوا عليهم.

وذكر أن محمد بن السائب كان من أهل السنة ، فقال : نذهب نسمع من هؤلاء فما رجع حتى أخذ بها وعلقت في قلبه.

قال : هذا قول الرسول ﷺ ، وهو الصادق المصدوق، فلا يحملن أحداً منكم حسن ظنه بنفسه وما عهده من معرفته

بصحة مذهبه على المخاطرة بدينة في مجالسة بعض أهل هذه الأهواء فيقول : أداخله لأناظره أو لأستخرج منه مذهبه فإنهم أشد فتنة من الدجال ، وكلامهم ألصق من الجرب ، وأحرق للقلوب من اللهب ، ولقد رأيت جماعة من الناس كانوا يلعنونهم ويسبونهم فجالسوهم على سبيل الإنكار والرد عليهم فما زالت بهم المباسطة وخفي المكر ودقيق الكفر حتى صبوا عليهم.[1]

وينبغي للعاقل أن يعلم أن مقاساة الشدة في خلاف الهوى أسهل مما يلقى في موافقته. وأقل ما يلقي موافقوا الهوى أنهم يصيرون إلى حالة لا يلتذون به فيها ثم لا يصبرون عنه ، لأنه يصير بالإدمان عادة. كمدمني الجماع وشراب الخمر ، والتفكر في هذه الأشياء تهون على الإنسان رفض الهوى.

---

[1] أنظر : " الهوى وأثره في الخلاف "، لفضيلة الشيخ عبد الله الغنيمان.

ومما يهون الهوى أن يتفكر الإنسان في نفسه فيعلم أنه لم يخلق لموافقة الهوى ، فإن الجمل يأكل أكثر منه. والعصفور يسافر أكثر والبهائم مطلقة في محبوباتها من غير حصر ولا يشوبهم.

غم فلما نقص حظ الآدمي من الشهوات ، ثم شيبت بالنقص علم أنه لم يخلق لذلك. وقد بينت لك أن المذموم من الهوى ما أفرط.

وهو الذي يحكم عليه العقل بالخطأ ، فأما ما تهواه مما تضطر إلى تناوله ويعينها على إصلاح حالها فممدوح لا مذموم.

***

الباب الثالث

في الفرق بين ما يرى العقل وما يرى الهوى

قال ابن القيم : اعلم أن الهوى يدعو إلى اللذة من غير فكر في عاقبته ، وقد يعلم أن تلك اللذة تجلب ألماً يربو عليها وتمنع صاحبها نيل أمثالها ، والهوى معرض عن النظر في ذلك ، وتلك حالة البهائم ؛ إلا أن البهائم أعذر ؛ لأنها لا ترى العاقبة .([1])

قال ابن الجوزي : واعلم أن الهوى يسري بصاحبه في فنون ويخرجه من دار العقل إلى دائرة الجنون ، وقد يكون الهوى في العلم فيخرج بصاحبه إلى ضد ما يأمر به العلم ، وقد يكون في الزهد فيخرج إلى الرياء .

وقد مدح الله عز وجل مخالفة الهوى فقال : { وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى } [النازعات : ٤٠].

---

[1] راجع : " الطب الروحاني "، للعلامة ابن القيم.

قال المفسرون : هو نهي النفس عما حرم الله عليها.
قال مقاتل : هو الرجل يهم بالمعصية فيذكر مقامه للحساب فيتركها .
قال الشنقيطي : قرينة دالة على أنه خاف عاقبة الذنب حين يقوم بين يدي ربه، فنهي نفسه عن هواها.
والوجه الثاني : أن فاعل المصدر الميمي الذي هو المقام ، هو الله تعالى ، أي : خاف هذا العبد قيام العبد قيام الله عليه ومراقبته لأعماله وإحصائها عليه ، ويدل لهذا الوجه الآيات الدالة على قيام الله على جميع خلقه وإحصائه عليهم أعمالهم ، **كقوله تعالى**: { اللَّهُ لا إِلَهَ إلا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ }[البقرة:٢٥٥].
وقوله تعالى: { أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ } [الرعد:٣٣]، **وقوله تعالى**: { وَلاَ تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلاَّ كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ } [يونس:٦١]، إلى غير ذلك

من الآيات.[1] وفي سورة الأحقاف في الكلام ، على قوله تعالى **في شأن الجن**: { يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ } [الأحقاف:٣١]، وقوله: { وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ }[الرحمن :٤٦ }، **وتصريحه بالامتنان بذلك على الإنس والجن في قوله** : { فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ [الرحمن :٤٧]، نص قرآني على أن المؤمنين الخائفين مقام ربهم من الجن يدخلون الجنة.[2]

وقال ﷻ: { بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ }[الروم :٢٩] ، **وقال تعالى** : { وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدىً مِنَ اللَّهِ} [القصص : ٥٠].

وقال تعالى : { وَلا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ } [

---

(١) راجع : " تفسير القرطبي ".

(٢) راجع : " أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ".

ص : ٢٦]. **وقال عبد الله بن عمرو بن العاص ، رضي الله عنهما ، عن النبي ﷺ** : ((لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به)).[١] وهذا الحديث ينبه كل مسلم بأنه يجب عليه أن يروض نفسه على أن تكون ميوله ورغباته واتجاهاته كلها تابعة لرسول الله ﷺ.[٢]

وهذا الحديث يشير إلى محاربة البدع ولزوم اتباع الكتاب والسنة ، وأن ميزان إيمان المؤمن هو في رضاه بقضاء رسول الله ﷺ، وكذلك نفي الإيمان عمن لم يرض بحكم رسول الله ﷺ وقضائه ، ومن لم يسلم له تسليماً. وفي الختام كأن النووي رحمه الله يختم هذه المجموعة بهذا الحديث ، ليعظم في نفس كل مسلم رجاء رحمة الله.

---

[١] **حديث عمرو** : ذكره الحكيم (١٦٤/٤) ، وأخرجه الخطيب (٣٦٨/٤) ، وابن أبى عاصم (١٢/١ ، رقم ١٥) .

[٢] **راجع** : شرح الأربعين "، للشيخ عطية بن محمد سالم .

وقال شداد بن أوس عن النبي ﷺ : ((الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت . والفاجر من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله))[1]. قوله : " دان نفسه " أي : استعبدها وأذلها ، يقال : دنت القوم أدينهم : إذا فعلت ذلك بهم ، وقيل : دان نفسه ، أي : حاسب نفسه في الدنيا قبل أن يحاسب في القيامة. قال عمر بن الخطاب : حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ، وزنوا أنفسكم قبل أن توزنوا ، وتجهزوا للعرض الأكبر ، وإنما يخف الحساب يومئذ على من حاسب نفسه

---

[1] حديث شداد بن أوس : أخرجه ابن المبارك (١/٥٥ ، رقم ١٧١) ، والطيالسى (ص ١٥٣ ، رقم ١١٢٢) ، وأحمد (٤/١٢٤ ، رقم ١٧١٦٤) ، والترمذى (٤/٦٣٨ ، رقم ٢٤٥٩) وقال : حسن . وابن ماجه (٢/١٤٢٣ ، رقم ٤٢٦٠) ، وأبو نعيم في الحلية (١/٢٦٧) ، والبيهقى (٣/٣٦٩ ، رقم ٦٣٠٦) ، والطبرانى (٧/٢٨١ ، رقم ٧١٤١) ، والحاكم (١/١٢٥ ، رقم ١٩١) وقال : صحيح على شرط البخارى.
ومن غريب الحديث : "الكيس" : العاقل .

فـي الـدنيا.[1] **وقـال** : كفـى بـالمرء سـرفا أن يأكـل كـل مـا اشتهى.[2]

قال أبـو حـازم : شيئان إذا عملت بهما أصبت بهما خير الدنيا والآخرة. **قيل** : ما هما ؟ **قال** : تحمل ما تكره إذا أحبه الله ، وتترك ما تحب إذا كره الله.[3]

وقال ابن مسعود : الحق ثقيل مري ، والباطل خفيف وبي ، ورب شـهوة سـاعة أورثـت حزنـا طـويلا ، ويـروى مثلـه عـن حذيفة بن اليمان. [4]

قال أبو الدرداء : لولا ثلاث ، لصلح الناس : شح مطاع ، وهوى متبع ، وإعجاب المرء بنفسه. [1]

---

[1] **أنظر** : " شرح السنة " للإمام البغوي (١٤ / ٣٠٩) .

[2] **أنظر** : المصدر السابق .

[3] **أنظر** : المصدر السابق.

[4] **أنظر** : المصدر السابق.

قال ابن عباس : ليأتين على الناس زمان يكون همة أحدهم فيه بطنه ينه هواه.[2]

وقد جاءت نصوص كثيرة في مدح الخشية من الله ﷻ والخوف منه ، وجاء عن أكابر الصحابة وخيار التابعين آثار كثيرة في شدة خوفهم ، فمنهم من تمنى إن أمه لم تلده وإن كان شجرة تعضد.

والقاعدة في هذا إن المحمود أن يكون العبد بين الخوف والرجاء ولا يبلغ به الخوف أن ييأس من رحمة الله عز وجل ولا يبلغ به الرجاء أن يأمن من مكره.

وعلامة ذلك أن يكون دائباً في عمل الخير واجتناب الشر فإن من أيس من رحمة الله فلا يبعد أن يدع ذلك قائلا أنا معذب في الآخرة لا محالة لكثرة ذنوبي فلماذا امنع نفسي

---

(1) أنظر : المصدر السابق.

(2) أنظر : المصدر السابق.

هواها فأعذبها في الدنيا بترك شهواتها ؟ ومن أمن مكر الله تعالى قال إنه ناج لا محالة فلا يضره أن يتبع نفسه هواها ولم يخلق الله شيئاً إلا للبشر ويقرأ : { قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِيَ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالْطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِي لِلَّذِينَ آمَنُواْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ } [الأعراف: ٣٢] ، وينسى إن قليلة يدعوا إلى كثيرة والاسترسال إلى الحلال الكثير يعسر عليه الاجتناب من الحرام فيغلب فيجترئ على ما لم يكن له أن يجترئ عليه ، **ويقول** : إنا مؤمن وكل مؤمن حبيب الله ، ومن شأن المحبوب أن لا يمنع محبة ما تهواه نفسه ولا يكلفه ما يشق عليه وأشباه ذلك.

وقد أجيب بأن الحديث خاص بحال لاحتضار فالمؤمن المحسن يبدو له من مبشرات تضطره إلى ظن الخير ، وإن كان قبل ذلك من أشد الخائفين وغيره يبدو له من المنذرات

ما يضطره إلى ظن سوء مصيره ، وإن كان قبل ذلك آمناً من مكر الله وهذا كما حمل حديث إذا أحب عبدي لقائي أحببت لقاءه ، وفيه إن لفظ الحديث عام فالتخصيص بلا دليل لا يجوز.

وقد يقال أن المراد بالعبد المؤمن الصالح كما تشعر الإضافة في قوله عبدي فهو الذي يكون الله عز وجل عند ظنه به إذ لا يظن به إلا الخير والحق ، وهو أهل أن لا يخيب رجاءه، كقوله تعالى: { إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى } [طه: ٤٦] ، وهي معية خصوصية ، أي : معه بالرحمة والتوفيق والهداية والرعاية والإعانة.

فهي أخص من المعية التي في قوله تعالى: { وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَمَا كُنتُمْ } [الحديد: ٤] ، وقوله : { مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ } [المجادلة: ٧] ، فإن معناها المعية بالعلم والإحاطة.

وقال ﷺ : ((إذا رأيت شحا مطاعا ، وهوى متبعا ، ودنيا مؤثرة ، وإعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك بخاصة نفسك ، ودع عنك أمر العامة)) .[1]

وأوردها أبو داود رحمه الله في هذا الحديث ، وهو حديث أبي ثعلبة الخشني جرثوم بن ناشر رضي الله تعالى عنه، أن رجلاً سأله عن قول الله ﷻ : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ }[المائدة:١٠٥].

فالمقصود بالسؤال : أنه قد يفهم منها أن الإنسان إذا اهتدى لا يضره ضلال غيره إذا ضل ، وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ليس بالواجب ، ولكن سبق أن مر حديث أبي بكر ﷺ ، **حيث قال** : إنكم تقرءون هذه الآية وتضعونها في غير موضعها، ثم بين أن المقصود من ذلك بعد أن يأمر الإنسان وينهى ، وليس معنى ذلك أنه يترك الأمر والنهي ،

---

[1] **حديث أبي ثعلبة** : أخرجه الترمذي (٥ / ٢٥٧ ، رقم ٣٠٥٨).

ولكنه إذا أدى ما عليه فعند ذلك لا يضره ضلال من ضل إذا اهتدى. أما أن يترك الأمر والنهي ويكفيه أن يكون قد اهتدى، فهذا ليس بصحيح.

ولهذا استنتج من قوله : ((إِذَا اهْتَدَيْتُمْ))، أن الاهتداء يقتضي أن يهدي غيره، وأن يرشد غيره، وأن يأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر. فلما سأل هذا الرجل أبا ثعلبة الخشني ، **قال** : لقد سألت خبيراً ، **يعني** : عندي علم في هذه الآية . فيريد أن يؤكد له أن الجواب عنده ، وأنه سأل من عنده علم ، ثم أخبر أنه سأل النبي ﷺعن ذلك.[1]

قوله: ((بل ائتمروا بالمعروف)) ، **يعني** : ليأمر بعضكم بعضاً بالمعروف، ولينه بعضكم بعضاً عن المنكر ، ولا يمسك الإنسان عن الأمر والنهي ، ويتعلل بأنه قد اهتدى ، وأنه لا يضره من ضل إذا اهتدى ، بل عليه أن يأمر وينهى

---

[1] راجع : " شرح سنن أبي داود "، للشيخ عبد المحسن .

، وبعد ذلك يكون قد أدى الذي عليه ، ويكون مأجوراً على أمره ونهيه ، وإن حصل أن استجيب له فذلك هو المطلوب ، وذلك خير على خير ، وإن لم يحصل أن استجيب له فإنه مأجور على نصحه وأمره ونهيه ، وبذله الخير لغيره.

قوله : ((الشح المطاع)) ، **يعني**: أن الناس غلب عليهم الشح والحرص على المال ، والتنافس في تحصيله ، **والشح** : بمعنى البخل ، بل هو أشد البخل ؛ ولهذا يقول الله ﷻ : { وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}[الحشر :٩]. والبخل عام وخاص ؛ لأنه يطلق على بعض أفراد البخل **ويقال له** : شح ، وليست كل أفراد البخل شحاً ، **وإنما يقال للجميع** : بخل ، ويقال لكل ما كان أشد من غيره شح.

وقوله : ((وهوىً متبعاً))، **يعني** : أن الناس اتبعوا أهواءهم ولم يتبعوا ما جاء عن الله وعن رسوله ﷺ، بل أعرضوا عن كتاب الله وعن سنة رسوله ﷺ ، وما كان عليه الصحابة

الكرام رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم. **وقوله** : ((ودنياً مؤثرة)) ، **يعني** : أن الناس يؤثرونها ويحرصون عليها، ويؤثرون العاجلة على الآجلة ، ويحبون العاجلة ولا يهتمون بالآجلة، بل ترى الإنسان يؤثر الدنيا على الآخرة، ويحرص عليها ويغفل عن الآخرة.

وقوله : ((وإعجاب كل ذي رأي برأيه)) ، **أي** : أن يعجب الإنسان برأيه ولا يعول على نصوص الكتاب والسنة ، وإنما يعول على رأيه ، والحق هو التعويل على ما جاء في الكتاب والسنة ، واطراح الآراء إذا كانت مخالفة لما جاء في الكتاب والسنة.

قوله : ((فعليك بنفسك ، ودع عنك أمر العوام)) ، أو : ((دع عنك أمرك)) ، **يعني** : عند ذلك عليك أن تجتهد في خلاصك ونجاتك ، وتدع عنك الناس ، وذلك لقلة الجدوى والفائدة ؛ لأنها حصلت هذه الأمور التي انشغلوا بها عن

الاستجابة والالتزام بما جاء عن الله تعالى وعن رسوله صلوات الله وسلامه وبركاته عليه. **قوله** : ((فإن من ورائكم أيام الصبر)) كما في رواية أبي داود[1] ، **يعني** : إن من

---

[1] **قال أبو داود** : حدثنا أبو الربيع سليمان بن داود العتكى ، حدثنا ابن المبارك ، عن عتبة بن أبى حكيم ، **قال** : حدثنى عمرو بن جارية اللخمى ، حدثنى أبو أمية الشعبانى ، **قال** : سألت أبا ثعلبة الخشنى ، **فقلت** : يا أبا ثعلبة كيف تقول فى هذه الآية : { عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ}، قال : أما والله لقد سألت عنها خبيرا ، سألت عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، **فقال** : ((بل ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر ، حتى إذا رأيت شحا مطاعا ، وهوى متبعا ودنيا مؤثرة ، وإعجاب كل ذى رأى برأيه فعليك – يعنى بنفسك – ودع عنك العوام ، فإن من ورائكم أيام الصبر ، الصبر فيه مثل قبض على الجمر للعامل فيهم مثل أجر خمسين رجلا يعملون مثل عمله)).
أخرجه أبود داود (٤ / ٢١٥ ، رقم ٤٣٤٣).

ورائكم أياماً الصبر فيها عظيم ، ومما يحصل من فتن في تلك الأيام فالقابض على دينه فيها كالقابض على الجمر ، يعني : من شدة الأهوال والفتن ، فالذي يكون على الجادة يكون غريباً بين الناس ، والقابض على دينه فيها كالقابض على الجمر.

قوله : ((فإن من ورائكم أيام الصبر ، الصبر فيه مثل قبضٍ على الجمر)). الذي يقبض على الجمر تجده يتململ ولا يستطيع أن يبقي الجمر في يده ، بل يريد أن يتخلص منه فالذي يصبر على دينه في ذلك الزمان كالقابض على الجمر **ومعناه** : أن فيه شدة، والجمر يحرقه ويؤلمه ، ولكنه مع ذلك متمسك بدينه كصبر القابض على الجمر.

قوله: ((للعامل فيهم مثل أجر خمسين رجلاً يعملون مثل عمله)). قوله : ((للعامل فيهم)) ، **يعني** : في ذلك الوقت ((مثل أجر خمسين يعملون مثل عمله)) ، وزاد أحد الرواة

في الرواية : ((**قيل** : منهم ؟ **قال** : بل منكم))، يخاطب النبي ﷺ بذلك أصحابه ﷺ.

ومعلوم أن الصحابة رضي الله عنهم أعمالهم أفضل من غيرهم ، وأن أي شخص من الصحابة هو أفضل من أي شخص يجيء بعدهم من التابعين وأتباع التابعين ومن بعدهم لأنهم شرفوا بصحبة النبي الكريم عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

وشرفهم الله بالنظر إلى طلعته ، وبسماع حديثه من فمه الشريف ، فسمعوا صوته ﷺ، ونقلوا السنة إلى من بعدهم ، فهم الحاملون لما جاء عن الله وعن رسوله من الكتاب والسنة والذين أدوها إلى من بعدهم، فهم الواسطة بين الناس وبين رسول الله ﷺ، ولهذا كل أحد من الرواة يحتاج إلى معرفة حاله ، **إلا الصحابة فإنه يكفي الواحد منهم شرفاً أن، يقال:** إنه صحاب ي، ولا يحتاج إلى أن يبحث عن حاله ، وهل هو

ثقة أو غير ثقة، هذا شيء لا يذكر عند الصحابة ، **ولهذا لا يوجد في كتب التراجم عند ذكر الصحابي أن يقال** : ثقة أو هو كذا.. أو هو كذا.. **وإنما يكفيه شرفاً أن يقال** : صحابي أو له صحبة ، أو صحب النبي ﷺ ، ولهذا فإن المجهول فيهم في حكم المعلوم ، ولهذا يكفي أن يقال : عن رجل صحب النبي ﷺ، **وأما لو جاء لفظ** : " رجل " في أثناء الإسناد فإن الحديث يكون بذلك ضعيفاً ، وأما الصحابة رضي الله عنهم فالجهالة فيهم لا تؤثر ، والمجهول فيهم في حكم المعلوم رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم.

إذاً : ففضلهم لا يدانيهم فيه أحد ، والأجر الذي يحصلونه لا يساويه أجر أحد يجيء بعدهم ، وذلك لأن العمل القليل منهم لا يعادله عمل الكثير من غيرهم ، وذلك لأن الذي حصل منهم إنما هو مع النبي ﷺ ، وفي الجهاد مع النبي عليه الصلاة والسلام ، والذب عن النبي ﷺ ، والدفاع عنه ﷺ ،

وكان الإسلام غريباً في أول الأمر ، وأهله فيهم قلة ، ومع ذلك كانوا يتنافسون في الذب عن رسول الله ﷺ ، ويتسابقون ويفدونه بأرواحهم وأجسادهم ﷺ ، ورضي الله تعالى عنهم وأرضاهم.

فالأجر الذي يحصله من جاء بعدهم لا يساوي ما حصلوه من الأجر والثواب ولاسيما فيما يتعلق بتبليغهم السنن ، فإنهم الذين بلغوا الكتاب والسنة.

ومعلوم أن كل من جاء بعدهم وبلغ سنة عن رسول الله ﷺ ، فإن ذلك الصحابي الذي بلغ هذه السنة وحفظها عن النبي ﷺ يكون له مثل أجور كل من عمل بهذه السنة من حين تبليغ الصحابي وإرشاده إلى نهاية الدنيا.

وقال ﷺ : ((ثلاث مهلكات ، وثلاث منجيات : فالمهلكات : شح مطاع ، وهوى متبع ، وإعجاب المرء بنفسه . والمنجيات : خشية الله في السر والعلانية ، والقصد في الغنى والفقر ،

والعدل في الرضا والغضب)).[1]وقال أبو الدرداء ﷺ : إذا أصبح الرجل اجتمع هواه وعمله وعلمه ؛ فإن كان عمله تبعا لهواه فيومه يوم سوء ، وإن كان عمله تبعا لعلمه فيومه يوم صالح . **وقال الأصمعي سمعت رجلا يقول :**

إن الهوان هو الهوى قلب اسمه ... فإذا هويت فقد لقيت هوانا

وسئل ابن المقفع عن الهوى فقال : هوان سرقت نونه ، **فأخذه شام فنظمه وقال :**

---

[1] **حديث أنس :** أخرجه الطبرانى في الأوسط (٣٢٨/٥ ، رقم ٥٤٥٢) ، قال الهيثمى (٩١/١) : فيه زائدة بن أبى الرقاد وزياد النميرى وكلاهما مختلف في الاحتجاج به . والبيهقى في شعب الإيمان (٤٧١/١ ، رقم ٧٤٥) ، والقضاعى في الشهاب (٢١٥/١ ، رقم ٣٢٦) ، وأبو نعيم في الحلية (٣٤٣/٢) **وقال :** هذا حديث غريب من حديث قتادة .

نون الهوان من الهوى مسروقة ... فإذا هويت فقد لقيت هوانا

وقال آخر :

إن الهوى لهو الهوان بعينه ... فإذا هويت فقد كسبت هوانا

وإذا هويت فقد تعبّدك الهوى ... فاخضع لحبك كائنا من كانا

ولعبد الله بن المبارك :

ومن البلايا للبلاء علامة ... ألا يرى لك عن هواك نزوع

العبد عبد النفس في شهواتها ... والحر يشبع تارة ويجوع

ولابن دريد :

إذا طالبتك النفس يوما بشهوه ... وكان إليها للخلاف طريق

فدعها وخالف ما هويت فإنما ... هواك عدو والخلاف صديق

وقال أحمد بن أبي الحوارى : مررت براهب فوجدته نحيفا **فقلت له** : أنت عليل. **قال** : نعم. **قلت** : مذ كم ؟ **قال** : مذ عرفت نفسي! **قلت** : فتداوى ؟ **قال** : قد أعياني الدواء وقد

عزمت على الكي. **قلت** : وما الكي ؟ **قال** : مخالفة الهوى.[1]

وقال سهل بن عبد الله التستري : هواك داؤك . فان خالفته فدواؤك .

وقال وهب : إذا شككت في أمرين ولم تدر خيرهما فانظر أبعدهما من هواك فأته.[2]

وللعلماء في هذا الباب في ذم الهوى ومخالفته كتب وأبواب أشرنا إلى ما فيه كفاية منه ؛ **وحسبك بقوله تعالى** : {وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى. فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى} [النازعات : ٤١].

قال الحسن : أفرأيت من اتخذ إلهه هواه ؟ **قال** : هو المنافق لا يهوى شيئا إلا ركبه .

---

(١) **راجع** : شرح سنن أبي داود "، للشيخ عبد المحسن.

(٢) **راجع** : " شرح سنن أبي داود " ، للشيخ عبد المحسن.

وقال الحسن : المنافق يعبد هواه لا يهوى شيئا إلا ركبه.

وسُئل قتادة : أفرأيت من اتخذ إلهه هواه ؟ قال : إذا هوى شيئا ركبه .

عن ثابت عن أنس أن النبي ﷺ، قال : ((حفت الجنة بالمكاره ، وحفت النار بالشهوات)).[1]

قال الخليل بن خدويه : مر إبراهيم الخليل فرأى عبدا في الهواء متعبدا ، فقال له : بم نلت هذه المنزلة من الله ؟ قال بأمر يسير فطمت نفسي عن الدنيا ولم أتكلم فيما لا يعنيني ، ونظرت فيما أمرت به فعملت به ، ونظرت فيما نهاني عنه

---

[1] حديث أنس : أخرجه أحمد (٣/٢٥٤ ، رقم ١٣٦٩٦) ، وعبد بن حميد (ص٣٩١ ، رقم ١٣١١) ، والدارمى (٢/٤٣٧ ، رقم ٢٨٤٣) ، والترمذى (٤/٦٩٣ ، رقم ٢٥٥٩) وقال : حسن غريب . وأبو يعلى (٦/٣٣ ، رقم ٣٢٧٥) . وأخرجه مسلم (٤/٢١٧٤ ، رقم ٢٨٢٢) ، وابن حبان (٢/٤٩٢ ، رقم ٧١٦) .

فانتهيت عنه ، فأنا إن سألته أعطاني ، وإن دعوته أجابني ، وإن أقسمت عليه أبر قسمي ، سألته أن يسكنني الهواء فأسكنني .[1]

وعن إدريس ، **قال** : سمعت وهب بن منبه ، **يقول** : كان في بني إسرائيل رجلان بلغت بهما عبادتهما أن مشيا على الماء ، فبينما هما يمشيان في البحر إذا هما برجل يمشي في الهواء ، **فقالا له** : يا عبد الله بأي شيء أدركت هذه المنزلة ؟ **قال** : بيسير من الدنيا فطمت نفسي عن الشهوات ، وكففت لساني عما لا يعنيني ، ورغبت فيما دعاني إليه ، ولزمت الصمت فإن أقسمت على الله أبر قسمي وإن سألته أعطاني.[2]

---

[1] **راجع** : " شرح سنن أبي داود "، للشيخ عبد المحسن .

[2] **أنظر** : المصدر السابق.

قال حذيفة بن قتادة المرعشي : كنت في المركب فكسر بنا فوقعت أنا وامرأة على لوح من ألواح المركب ، فمكثنا سبعة أيام ، **فقالت المرأة** : أنا عطشى فسألت الله تعالى أن يسقيها فنزلت علينا من السماء سلسلة فيها كوز معلق فيه ماء فشربت ، فرأيت رجلا جالسا في الهواء متربعا ، **فقلت** : من أنت ؟ **قال** : من الإنس . **قلت** : فما الذي بلغك هذه المنزلة ؟ **قال** : آثرت مراد الله على هواي فأجلسني كما تراني .

عن مبادر بن عبيد الله الصوفي ، قال : سمعت بعض أصحابنا ، **يقول** : رأيت غرفة في الهواء وفيها رجل فسألته عن حاله التي بلغته إلى تلك المنزلة ؟ **فقال** : تركت الهوى فأدخلت في الهوا . **وعن أبي الدرداء ، قال** : إذا أصبح الرجل اجتمع هواه وعمله ، فإن كان عمله تبعا لهواه فيومه يوم سوء ، وإن كان هواه تبعا لعمله فيومه يوم صالح .[1]

---

[1] **راجع** : " شرح سنن أبي داود "، للشيخ عبد المحسن .

عن **جعفر** بن سليمان، **قال** : **سمعت** مالك بن دينار ، **يقول** : من غلب شهوات الدنيا ، فذلك الذي يفرق الشيطان من ظله .

قال الأصمعي : **سمعت أعرابيا** ، **يقول** : إذا أشكل عليك أمران لا تدري أيهما أرشد فخالف أقربهما من هواك ، فإن أكثر ما يكون الخطأ مع متابعة الهوى .

قال ابن السماك : إن شئت أخبرتك بدائك ، وإن شئت أخبرتك بدوائك ، داؤك هواك ، ودواؤك ترك هواك .

عن الأصمعي ، **قال** : مررت بأعرابي به رمد شديد ودموعه تسيل ، **فقلت** : ألا تمسح عينيك ؟ **فقال** : زجرني الطبيب ، ولا خير فيمن إذا زجر لا ينزجر ، وإذا أمر لا يأتمر ، **فقلت** : أما تشتهي شيئا ؟ **فقال** : أشتهي ولكن أحتمي ؛ لأن أهل النار غلبت شهواتهم فلم يحتموا فهلكوا .[١]

---

[١] راجع : المصدر السابق .

قال ابن القيم : ولا ينبغي للعاقل أن ينزل عن رتبة بها شرف وارتفع إلى مقام من حط ، فأما العقل فإنه يراقب العواقب وينظر في المصالح فمثله كمثل الرجل الحازم والطبيب الناصح .

ومثل الهوى كمثل الصبي الجاهل والمريض الشره ، فينبغي للبيب إذا اختلف عقله وهواه ، وقد علم أن العقل عالم ناصح أن يستشيره ، أن يصبر على مضض ما يأمر به ، ويكفيه في إيثار العقل علم بفضله .

فإن رام زيادة دليل على صحة قوله فليتأمل عواقب ما ينجيه الهوى على أربابه من هتك الستار والفضيحة بين الخلق وحط المنزلة وفوت مما يوضح له الدليل أن يقدر بلوغ غرضه قبل نيله .[1] ثم ينظر في حاله بعد انقضاءه ، وما اكتسبه ويزن الالتذاذ بالجناية فيعلم حينئذ أنه قد خسر أضعاف ما ربح ،

---

[1] راجع : " الطب الروحاني "، للعلامة ابن القيم .

وقد أنشدوا :

كم لذة مستفزة فرحاً قد انجلت عن غموم آفات

كم شهوات سلبن صاحبها ثوب الديانات والمروءات

واعلم أن الإنسان إذا وافق هواه وإن لم يضره وجد من نفسه ذلاً لمكان أنه مغلوب ، وإذا قهر هواه وجد في نفسه عزاً لأجل أنه غالب .

ثم أنت ترى الناس إذا شاهدوا زاهداً تعجبوا منه وقبلوا يده وما ذاك إلا لأنه قوي على ترك ما ضعفوا عنه من مخالفة الهوى .

* * *

الباب الرابع

في دفع العشق عن النفس

هذا مرض قد تلف به خلق كثير تارة في أبدانهم وتارة في أديانهم وتارة فيهما . ولأجله وضعت كتاب ـ **ذم الهوى** ـ وقد ذكرت هناك من الأدوية ما يكفي ويشفي ، إلا إني أذكر هاهنا جملة لئلا يخلو الكتاب مما قد رسم فيه.

فأقول من احتمى عن التخليط بغض البصر وكف النظر سلم من هذا المرض ؛ فإذا لم يحتم حصل عنده من المرض بمقدار تخليطه ، فإن تدارك الأمر قبل استحكامه فربما نفع الدواء وإن تركه إلى أن يستحكم لم ينفعه علاج.

عن أنس بن مالك ﷺ ، **قال** : سمعت عمر بن الخطاب ، ﷺ يوما وخرجت معه حتى دخل حائطا ، فسمعته ، **يقول** : وبيني وبينه جدار وهو في جوف الحائط : ((عمر بن الخطاب أمير المؤمنين بخ ، والله لتتقين الله ، ابن الخطاب

أو ليعذبنك)). [١] قال مالك بن دينار : رحم الله عبدا ، قال لنفسه النفيسة : ألست صاحبة كذا ؟ ألست صاحبة كذا ؟ ثم ذمها ثم خطمها ، ثم ألزمها كتاب الله ؛ فكان لها قائدا. [٢]
وقال إبراهيم التيمي : مثلت نفسي في الجنة ، آكل ثمارها ، وأشرب من أنهارها ، وأعانق أبكارها ، ثم مثلت نفسي في النار ، آكل من زقومها ، وأشرب من صديدها ، وأعالج سلاسلها وأغلالها ؛ فقلت لنفسي : أي نفسي ، أي شيء تريدين ؟ ، قالت : أريد أن أرد إلى الدنيا ؛ فأعمل صالحا قال : قلت : فأنت في الأمنية فاعملي . [٣]

---

[١] **أخرجه ابن أبي الدنيا في** " محاسبة النفس "، رقم (٣).
الحائط : البستان أو الحديقة وحوله جدار.
بخ : كلمة تقال لاستحسان الأمر وتعظيم الخير.
[٢] **أنظر**: " محاسبة النفس"، لابن أبي الدنيا.
[٣] **الأغلال جمع الغُل** : وهو طوق من حديد أو جلد يجعل في عنق الأسير أو المجرم أو في أيديهما.

واعلم أن مجرد النظر إلى المستحسن لا يكاد يوجب العشق ، وإنما يزداد النظر يحصله ويعينه قوة الطمع ، فيساعده الشباب والشهوة. فمن أراد العلاج فليبادر به قبل أن يستحكم المرض.

وذلك بقطع السبب والصبر على ذلك خوف الله تعالى وزجر النفس الأبية عن مواقف الذل وتذكر عيوب المحبوب الباطنة..

كما قال ابن مسعود : إذا أعجبت أحدكم امرأة فليذكر مثالبها.

قال ابن القيم : ومتى كان المحبوب مقدوراً عليه مباحاً كان الجمع بينهما أعظم الداء ، وإلا فالنكاح في الجملة يخفف المرض ، واستجداد الزوجات واستحداث الجواري وطول السفر والتفكر في خيانة المحبوب وتجنيه .[1]

---

[1] راجع : " الطب الروحاني "، للعلامة ابن القيم.

والنظر في كتب الزهد وذكر الموت وعيادة المرضى وزيارة القبور ، ثم يتفكر في وجود غرضه وانقضائه وسآمته مع الزمان وتغير الخلق.

وليتصفح العبر في نفسه وغيره فلعل غيره يأخذ بيده فينتاشه من هذه الهوة ويجتذبه من هذه الورطة.

قال مالك بن دينار: سمعت الحجاج ، يخطب ، **ويقول :** امرأ وزن نفسه ، امرأ اتخذ نفسه عدوا ، امرأ حاسب نفسه قبل أن يصير الحساب إلى غيره ، امرأ أخذ بعنان عمله فنظر أين يريد ؟ امرأ نظر في مكياله ، امرأ نظر في ميزانه ، فما زال يقول امرأ حتى أبكاني .[١]

---

(١) **راجع :** " محاسبة النفوس "، **العِنان :** هو اللجام الذي تقاد به الدابة.

عن وهب بن منبه ، قال : مكتوب في حكمة آل داود : حق على العاقل أن لا يغفل عن أربع ساعات ، ساعة يناجي فيها ربه ، وساعة يحاسب فيها نفسه ، وساعة يخلو فيها مع إخوانه الذين يخبرونه بعيوبه ويصدقونه عن نفسه ، وساعة يخلو فيها بين نفسه وبين لذاتها فيما يحل ويحمد ؛ فإن في هذه الساعة عونا على تلك الساعات ، وإجماما للقلوب ، وحق على العاقل أن لا يرى ظاعنا إلا في ثلاث ، زاد لميعاد أو مرمة لمعاش أو لذة في غير محرم ، وحق على العاقل أن يكون عارفا بزمانه ، حافظا للسانه ، مقبلا على شأنه .[1]

---

[1] **أنظر** : المصدر السابق.

المناجاة : حديث العبد لربه سرا بالتضرع أو الدعاء أو ما يشاء.

الظاعن : المسافر .

الزاد : هو الطعام والشراب وما يُتَبَلَّغُ به ، ويُطلق على كل ما يُتَوصَّل به إلى غاية بعينها .

عن جعفر بن برقان ، أن عمر بن الخطاب ، ﷺ كتب إلى بعض عماله فكان في آخر كتابه : أن حاسب نفسك في الرخاء قبل حساب الشدة ، فإنه من حاسب نفسه في الرخاء قبل حساب في الشدة ؛ عاد مرجعه إلى الرضا والغبطة ، ومن ألهته حياته ، وشغلته أهواؤه عاد أمره إلى الندامة والحسرة فتذكر ما توعظ به لكيما تنهى عما ينهى عنه وتكون عند التذكرة والموعظة من أولي النهى .[١]

عن الحسن ، قال : المؤمن قوام على نفسه يحاسب نفسه لله عز وجل ، وإنما خف الحساب يوم القيامة على قوم حاسبوا أنفسهم في الدنيا ، وإنما شق الحساب يوم القيامة على قوم أخذوا هذا الأمر من غير محاسبة ، إن المؤمن يفجأه الشيء ويعجبه ، فيقول : والله أني لأشتهيك وإنك لمن حاجتي ، ولكن والله ، ما صلة إليك هيهات ، حيل بيني وبينك ويفرط

---

[١] راجع : " محاسبة النفوس ".

منه الشيء فيرجع إلى نفسه فيقول : هيهات ما أردت إلى هذا وما لي ولهذا والله ما أعذر بهذا والله لا أعود إلى هذا أبدا إن شاء الله ومالي ولهذا ، والله ما أعذر بهذا والله لا أعود إلى هذا أبدا إن شاء الله ، إن المؤمنين قوم أوقفهم القرآن وحال بينهم وبين هلكتهم أن المؤمن أسير في الدنيا يسعى في فكاك رقبته لا يأمن شيئا حتى يلقى الله يعلم أنه مأخوذ عليه في سمعه ، وفي بصره ، وفي لسانه ، وفي جوارحه ، مأخوذ عليه في ذلك كله .[١]

عن عبد السلام بن النعمان بن بشير الأنصاري ، أن جعفر بن أبي طالب حين قتل دعا الناس : يا عبد الله بن رواحة ، يا عبد الله بن رواحة ، وهو في جانب العسكر ومعه ضلع

---

[١] شق : صعب.

حيل : حجز ومنع.

وجمل منهشة ، ولم يكن ذاق طعاما قبل ذلك بثلاث ، فرمى بالضلع ، **ثم قال** : وأنت مع الدنيا ، ثم تقدم فقاتل فأصيب أصبعه **فارتجز فجعل يقول** : هل أنت إلا أصبع دميت ، وفي سبيل الله ما لقيت يا نفس ، إلا تقتلي تموتي هذا حياض الموت قد صليت وما تمنيت فقد لقيت إن تفعلي ؛ فعلها هديت وإن تأخرتي ؛ فقد شقيتي.

، **ثم قال** : يا نفس ، إلى أي شيء تتشوفين إلى فلانة ، فهي طالق ثلاثا وإلى فلان وفلان – غلمان له – وإلى معجف – حائط له – **فهو لله ولرسوله** :

يا نفس ، ما لك تكرهين الجنة أقسم بالله لتنزلنه طائعة أو لتكرهنه فطالما قد كنت مطمئنه هل أنت إلا نطفة في شنه قد أجلب الناس وشدو الرنة .[1]**عن حميد بن هلال ، قال** : كان

---

[1] **راجع** : " محاسبة النفوس "، **دمي الجرح** : خرج منه الدم ولم يسل. الحائط : البستان أو الحديقة وحوله جدار.

الأسود بن كلثوم إذا مشى نظر إلى قدميه ، **قال** : ودور الناس إذ ذاك فيها تواضع فعسى أن يفجأ النسوة ، **فيقول بعضهن لبعض** : كلا إنه الأسود بن كلثوم إنه لا ينظر فلما قرب غازيا ، **قال** : اللهم ، إن هذه النفس تزعم في الرخاء أنها تحب لقاك ، فإن كانت صادقة. فارزقها ذاك ، وإن كانت كاذبة ؛ فاحملها عليه وإن كرهت ؛ فاجعل ذلك قتلا في سبيلك ، وأطعم لحمي سباعا وطيرا. **قال** : فانطلق في طائفة من ذلك الجيش الذي خرج فيه حتى دخلوا حائطا فيه ثلمة ، وجاء العدو حتى قام على الثلمة ، فنزل عن فرسه ، وضرب وجهه فانطلق غايرا ، ثم عمد إلى الماء في الحائط ، فتوضأ منه ، وصلى.

قال : تقول العجم هكذا استسلام العرب. فلما قضى صلاته قاتلهم حتى قتل وعظم الجيش على ذلك الحائط وفيهم أخوه.

فقيل لأخيه : ألا تدخل الحائط فتنظر ما أصيبت من عظام أخيك فتجبه ، **قال** : ما أنا بفاعل شيئا دعا به أخي فاستجيب له .[1]**عن عبد الله بن قيس أبو أمية الغفاري** ، **قال** : كنا في غزاة لنا ، فحضر عدوهم ، فصيح في الناس ، فهم يثوبون إلى مصافهم ، وفي يوم شديد الريح ، إذا رجل أمامي رأس فرسي عند عجز فرسه ، وهو يخاطب نفسه.

فيقول : أي نفسي ، ألم أشهد مشهد كذا وكذا ؟ **فقلت لي** : أهلك وعيالك ، وأطعتك رجعت ، ألم أشهد مشهد كذا وكذا ؟ ، **فقلت لي** : أهلك وعيالك ، فأطعتك ، فرجعت ، والله ، لأعرضنك اليوم على الله عز وجل ، أخذك أو تركك ، فقلت : لأرمقنه اليوم فرمقته فحمل الناس على عدوهم فكان في

---

[1] **الحائط** : البستان أو الحديقة وحوله جدار.
الثلمة : الثقب أو الفتحة.

أوائلهم ، ثم إن العدو حمل على الناس فانكشفوا وكان في حماتهم ، ثم حملوا على عدوهم فكان في أوائلهم ، ثم حمل العدو وانكشف الناس فكان في حماتهم ، **قال** : فوالله ، مازال ذلك دأبه حتى رأيته صريعا ، فعددت به وبدابته ستين أو أكثر من ستين طعنة .[1]

عن سفيان الثوري ، **قال** : جلست ذات يوم أحدث ومعنا سعيد بن السائب الطائفي فجعل سعيد يبكي حتى رحمته **فقلت** : يا سعيد ، ما يبكيك وأنت تسمعني أذكر أهل الخير وفعالهم ؟ **قال** : يا سفيان وما يمنعني من البكاء وإذا ذكر

---

[1] **الغزاة** : الغزوة ، من الغزو وهو الخروج إلى محاربة العدو.

المصاف : جمع مصف وهو موضع الحرب الذي تكون فيه الصفوف.

رمق : نظر وتأمل وراقب.

الدأب : الشأن والعادة.

صريع : قتيل.

مناقب أهل الخير كنت منهم بمعزل ؟ قال : يقول سفيان : حق لـه أن يبكـي .[1]قـال **وهيـب بـن الـورد** : بينمـا امـرأة فـي الطواف ذات يوم ، **وهى تقول** : يا رب ذهبت اللذات وبقيت التبعات يا رب سبحانك وعزتك إنك لأرحم الراحمين يا رب ما لك عقوبـة إلا النـار ، **فقالـت صـاحبة لهـا كانـت معهـا** : يـا أخيـة دخلـت بيـت ربـك اليـوم قالـت : والله مـا أرى هـاتين القـدمين وأشـارت إلـى قـدميها أهـلا للطـواف حـول بيت ربـي فكيـف أراهمـا أهـلا أطـأ بهمـا بيـت ربـي ؟ وقـد علمـت حيـث مشتا وإلى أين مشتا ؟ .[2]

عن مستلم بن سعيد الواسطي ، أخبرني حماد بن جعفر بن زيد ، أن أباه ، أخبره قال : خرجنا في غزوة إلى كابل وفي

---

[1] **المناقب** : **الصفات** ، وأكثر ما تستعمل في الفضائل وما يحمد من الأفعال.

[2] **يطأ** : يدوس بقدمه.

الجيش صلة بن أشيم فنزل الناس عند العتمة وصلوا فصلى ثم **اضطجع فقلت** : لأرمقن عمله فالتمس غفلة الناس حتى إذا قلت هدأت العيون وثب فدخل غيضة قريبا منا ودخلت على إثره فتوضأ ثم قام يصلي وجاء أسد حتى دنا منه.

قال : قصدت شجرة **قال** : فتراه التفت أو عد به جزوا حتى سجد ، **فقلت** : الآن يفترسه فلا شيء ، **فجلس ثم سلم ثم قال** : أيها السبع اطلب الرزق في مكان آخر ، **فولى وإن له لزئيرا أقول** : تصدع الجبال منه ، **قال** : فما زال كذلك يصلي حتى لما كان عند الصبح جلس فحمد الله بمحامد لم أسمع بمثلها إلا ما شاء الله ثم ، **قال** : اللهم إني أسألك أن تجيرني من النار أو مثلي يجترئ أن يسألك الجنة ؟ ، **قال** : ثم رجع فأصبح كأنه بات على الحشايا وأصبحت وبي من الفترة شيء الله به عليم.[1]

---

[1] **العتمة** : صلاة العشاء.

عن الجلد بن أيوب ، **قال** : كان عابد في بني إسرائيل على صومعته منذ ستين سنة وإنه أتي في منامه ، **فقيل له** : إن فلانا الإسكاف خير منك فلما انتبه.

قال : رؤيا ثم سكت فلما كان من القائلة أيضا رأى مثل ذلك في منامه فلم يزل يرى في منامه مرارا حتى تبين له أنه أمر فنزل من صومعته فأتى الإسكاف فلما رآه الإسكاف قام من عمله وتلقاه وجعل يمسح به.

فقال له : ما أنزلك من صومعتك ؟ **قال** : أنت أنزلتني أخبرني ما عملك ؟ فكأنه كره أن يخبره ثم **قال** : أجل أعمل النهار وأكسب شيئا فما رزق الله من شيء أتصدق بنصفه

رمق : نظر وتأمل وراقب.

التمس الشيء : طلبه.

الدنو : الاقتراب.

وآكل مع عيالي النصف وأصوم النهار فانطلق من عنده فلما **كان بعد أيضا قيل للراهب** : سله مم صفرة وجهك ؟ فأتاه **فقال** : مم صفرة وجهك ؟ **فقال** : إني رجل لا يكاد يرفع لي أحد إلا ظننت أنه في الجنة وأنا في النار وإنما فضل علي الواهب بإزرائه على نفسه .[1]

قال العلامة ابن القيم : كما روينا أن رجلاً كان يهوى غلاماً فنظر يوماً في المرآة فرأى طاقة شيب فهجر الغلام ، فكتب الغلام إليه :

مالي جيفت وكنت لا أجفي ودلائل الهجران لا تخفى

وأراك تشربني فتمزجني ولقد عهدتك شاربي صرفاً

فكتب إليه في الجواب :

أتَصَابي مع الشَّمط سمتني خطة شطط

---

(1) الصومعة : كل بناء متصمع الرأس ، أي : متلاصقه والمراد مكان العبادة للرهبان.

لا تلمني على جفا ي فحسبي بما فرط
أنا رهن بما جنيـ ت فذرني من الغلط
قد رأينا أبا الخلا ئق في ذلة هبط

دعاء:

عن أبي سعيد ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : ((ألا أعلمك كلاما إذا قلته أذهب الله همك ، وقضى عنك دينك ، **قل : إذا أصبحت وإذا أمسيت** : اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن ، وأعوذ بك من العجز والكسل ، وأعوذ بك من الجبن والبخل ، وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال)).[1]

* * *

---

[1] **حديث أبي سعيد** : أخرجه أبو داود (٩٣/٢ ، رقم ١٥٥٥) .

الباب الخامس

قال ابن القيم : وقد يقع الشره في جمع المال وهو من الجنون البارد إذا زاد على قدر الحاجة ، لأن المال لا يراد لنفسه وإنما يراد لغيره .

ولا ينكر على من جمع مالا غنى للنفس عنه ، فاستغنى به عن الناس ، وأغنى أولاده ، وبذل بعضه للمحتاجين ، إلا أنه ينبغي للعاقل بعد حصول المقدار والمتوسط من ذلك أن لا يضيع الزمان الشريف .

وأن يخاطر بالروح التي لا قيمة لها في الأسفار وركوب البحار ، **وما أحسن قول الشاعر :**

ومن ينفق الأيام في جمع ماله.. مخافة فقر فالذي فعل الفقر

وكم قد رأينا وسمعنا عن أقوام يقترون على أنفسهم في الإنفاق ، ويركبون مع كبر السن البحار ليربحوا بزعمهم فهلكوا في أسفارهم .

وما بلغوا بعض أغراضهم ؛ وهذا المرض ينبغي أن يداوي بتلمح المقصود من المال ، والموازنة بين حصوله وبين المخاطرة بأَنْفَسْ نَفِيس وهي النفس والوقت ، فمن شاور عقله فهم المراد .

ومن غلبه مرض الحرص هلك في بيداء الشره .

ولا وارث إلا المطية والرحل .

يزداد التسخط في الناس وعدم الرضى بما رزقوا إذا قلت فيهم القناعة. وحينئذ لا يرضيهم طعام يشبعهم ، ولا لباس يواريهم على ما يحتاجونه في كل شيء، ولن يشبعهم شيء ؛ لأن أبصارهم وبصائرهم تنظر إلى من هم فوقهم ، ولا تبصر من هم تحتهم ؛ فيزدرون نعمة الله عليهم ، ومهما أوتوا طلبوا المزيد، فهم كشارب ماء البحر لا يرتوي أبدًا.

ومن كان كذلك فلن يحصل السعادة أبدًا؛ لأن سعادته لا تتحقق إلا إذا أصبح أعلى الناس في كل شيء ، وهذا من

أبعد المحال ؛ ذلك أن أي إنسان إن كَمُلت له أشياء قصُرَت عنه أشياء، وإن علا بأمور سَفُلَت به أمور، ويأبى اللّه تعالى الكمال المطلق لأحد من خلقه كائنا من كان؛ لذا كانت القناعة والرضى من النعم العظيمة، والمنح الجليلة التي يغبط عليها صاحبها.

مفهوم القناعة :

توجد علاقة متينة بين القناعة وبين الزهد والرضى، ولذلك عرف بعض أهل اللغة القناعة بالرضى، والقانع بالراضي.

قال ابن فارس : "**قَنع قناعةً**: إذا رضي وسميت قناعة؛ لأنه يقبل على الشيء الذي له راضيًا".[1] **وأما الزهد فهو**: ضد الرغبة والحرص على الدنيا، والزهادة في الأشياء ضد الرغبة [2]، وذكر ابن فارس أن مادة (زهد) أصل يدل على قلة

---

[1] **لسان العرب** ، مادة "قنع" (١١ / ٣٢١).

[2] **معجم مقاييس اللغة** ، مادة "قنع) (٥ / ٣٣).

الشيء، **قال: والزهيد**: الشيء القليل.[1] عرف شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله **الزهد بقوله** : "ترك الرغبة فيما لا ينفع في الدار الآخرة ، وهو فضول المباح التي لا يستعان بها على طاعة الله ﷻ.[2]

ونحا فريق من أهل الاصطلاح إلى تقسيم القناعة ، وجعل أعلى مراتبها الزهد كما هو صنيع الماوردي؛ **حيث قال** : "**والقناعة قد تكون على ثلاثة أوجه : الوجه الأول:** أن يقتنع بالبلغة من دنياه ويصرف نفسه عن التعرض لما سواه ؛ وهذا أعلى منازل أهل القناع .

ثم ذكر **قول مالك ابن دينار** : "أزهدُ الناس من لا تتجاوز رغبته من الدنيا بلْغته".

---

[1] **لسان العرب**، مادة "زهد" (٦ / ٩٧).

[2] **معجم مقاييس اللغة**، مادة "زهد" (٣ / ٣٠).

الوجه الثاني : أن تنتهي به القناعة إلى الكفاية ، ويحذف الفضول والزيادة. وهذا أوسط حال المقتنع ، **وذكر فيه قول بعضهم**: "من رضي بالمقدور قنع بالميسور".[1]

الوجه الثالث : أن تنتهي به القناعة إلى الوقوف على ما سنح، فلا يكره ما أتاه وإن كان كثيرًا، ولا يطلب ما تعذر وإن كان يسيرا . وهذه الحال أدنى منازل أهل القناعة؛ لأنها مشتركة بين رغبة ورهبة ، **فأما الرغبة** : فلأنه لا يكره الزيادة على الكفاية إذا سنحت، وأما الرهبة، فلأنه لا يطلب المتعذر عن نقصان المادة إذا تعذرت. وبناء على تقسيم الماوردي فإن المنزلة الأولى هي أعلى منازل القناعة وهي الزهد أيضا والمنزلة الثالثة هي التي عليها أكثر الذي عرفوا القناعة وهي

---

[1] مجموع الفتاوى (١١ / ٢٧) وانظر : مكارم الأخلاق عند ابن تيمية (٢٥٩).

مقصود رسالتنا تلك. وعلى هذا المعنى فإن القناعة لا تمنع التاجر من تنمية تجارته، ولا أن يضرب المسلم في الأرض يطلب رزقه ، ولا أن يسعى المرء فيما يعود عليه بالنفع ؛ بل كل ذلك مطلوب ومرغوب.

وإنما الذي يتعارض مع القناعة أن يغش التاجر في تجارته ، وأن يتسخط الموظف من مرتبته ، وأن يتبرم العامل من مهنته، وأن ينافق المسئول من أجل منصبه ، وأن يتنازل الداعية عق دعوته أو يميّع مبدأه رغبة في مال أو جاه ، وأن يحسد الأخ أخاه على نعمته ، وأن يذلّ المرء نفسه لغير الله تعالى لحصول مرغوب.[1]

وليس القانع ذلك الذي يشكو خالقه ورازقه إلى الخلق ، ولا الذي يتطلع إلى ما ليس له ، ولا الذي يغضب إذا لم يبلغ ما تمنى من رُتَب الدنيا؛ لأن الخير له قد يكون عكس ما تمنى.

---

[1] أنظر : مختصرا من أدب الدنيا والدين (٣٢٨- ٣٢٩).

وفي المقابل فإن القناعة لا تأبى أن يملك العبد مثاقيل الذهب والفضة ، ولا أن يمتلئ صندوقه بالمال ، ولا أن تمسك يداه الملايين ؛ ولكن القناعة تأبى أن تَلجَ هذه الأموال قلبه ، وتملك عليه نفسه؛ حتى يمنع حق اللّه فيها ، ويتكاسل عن الطاعات، ويفرط في الفرائض ! من أجلها ، ويرتكب المحرمات من ربًا ورشوة وكسب خبيث حفاظا عليها أو تنمية لها.

وكم من صاحب مال وفير ، وخير عظيم، رُزق القناعة! فلا غشّ في تجارته ، ولا منع أجَراءه حقوقهم ، ولا أذل نفسه من أجل مال أو جاه ، ولا منع زكاة ماله ؛ بل أدى حق اللّه فيه فرضًا وندبًا، مع محافظةٍ على الفرائض، واجتناب للمحرمات. إن ربح شكر ، وإن خسر رضي ؛ فهذا قنوع وإن ملك مال قارون . وكم من مستور يجد كفافًا؛ ملأ الطمع قلبه حتى لم يرضه ما قُسِم له ! فجزع من رزقه ، وغضب على رازقه ،

وبث شكواه للناس ، وارتكب كل طريق محرم حتى يغني نفسه؛ فهذا منزوع القناعة وإن كان لا يملك درهمًا ولا فلسًا.

فوائد القناعة:

إن للقناعة فوائد كثيرة تعود على المرء بالسعادة والراحة والأمن والطمأنينة في الدنيا، **ومن تلك الفوائد:**

١- امتلاء القلب بالإيمان بالله سبحانه تعالى والثقة به ، والرضى بما قدر وقَسَم، وقوة اليقين بما عنده سبحانه وتعالى ذلك أن من قنع برزقه فإنما هو مؤمن ومتيقن بأن الله تعالى قد ضمن أرزاق العباد ، وقسمها بينهم حتى ولو كان ذلك القانع لا يملك شيئًا.

يقول ابن مسعود ﷺ : إن أرجى ما أكون للرزق إذا قالوا: ليس في البيت دقيق ".

وقال الإمام أحمد رحمه اللّه تعالى : أسرُّ أيامي إليَّ يوم أصبح وليس عندي شيء.

وقال الفضيل بن عياض رحمه اللّه تعالى: أصل الزهد الرضى من الله ﷻ. وقال أيضًا: القُنُوع هو الزهد وهو الغنى. وقال الحسن رحمه الله تعالى : إن من ضعف يقينك أن تكون بما في يدك أوثق منك بما في يد اللّه ﷻ.[1]

٢- الحياة الطيبة : قال تعالى: { مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ } [النحل: ٩٧] ، فسر الحياة الطيبة علي وابن عباس والحسن رضي الله عنهم ، فقالوا : الحياة الطيبة هي القناعة [2]، وفي هذا المعنى قال ابن الجوزي

---

[1] أنظر هذه الآثار في : جامع العلوم والحكم (٢ / ١٤٧) شرح حديث رقم (٣١).

[2] أخرجه عن علي والحسن الطبري في تفسيره (١٤ / ١٧) عند تفسير الآية (٩٧) من سورة النحل، وأخرجه الحاكم عن ابن عباس وصححه ووافقه الذهبي (٢ / ٣٥٦).

رحمه الله تعالى : من قنع طاب عيشه، ومن طمع طال طيشه.[1]

٣- تحقيق شكر المنعم سبحانه وتعالى ، ذلك أن من قنع برزقه شكر اللّه تعالى عليه، ومن تقالّه قصّر في الشكر ، وربما جزع وتسخط- والعياذ بالله .

ولذا قال النبي ﷺ: ((كن ورعا تكن أعبد الناس ، وكن قنعًا تكن أشكر الناس)).[2]

ومن تسخط من رزقه فإنما هو يسخط على من رزقه ، ومن شكا قلّته للخلق فإنما هو يشكو خالقه سبحانه وتعالى للخلق. وقد شكا رجل إلى قوم ضيقًا في رزقه ، فقال له بعضهم :

---

[1] أخرجه ابن ماجه (٤٢١٧)، والبيهقي في الزهد الكبير (٨١٨)، وأبو نعيم في الحلية (١٠ / ٣٦٥)، وحسنه البوصيري في الزوائد (٣ / ٣٠٠).

[2] أنظر : نزهة الفضلاء ترتيب سير أعلام النبلاء (١٥٠٤).

"شكوت من يرحمك إلى من لا يرحمك". [1] ٤- الفلاح والبشرى لمن قنع: فعن فضالة بن عبيد رضي الله تعالى عنه : أنه سمع رسول الله ﷺ **يقول:**

((طوبى لمن هدي إلى الإسلام، وكان عيشه كفافًا، وقنع" ، وعن عبد اللّه بن عمرو رضي الله عنهما : أن رسول الله ﷺ ، قال: ((قد أفلح من أسلم ورزق كفافًا، وقنعه اللّه بما آتاه)). [2]

٥- الوقاية من الذنوب التي **تفتك بالقلب وتذهب الحسنات:** كالحسد ، والغيبة ، والنميمة ، والكذب ، وغيرها من الخصال الذميمة والآثام العظيمة ؛ ذلك أن الحامل على الوقوع في كثير من تلك الكبائر غالبًا ما يكون استجلاب دنيا أو دفع

---

[1] **أنظر** : عيون الأخبار لابن قتيبة (٣ / ٢٠٦).

[2] **أخرجه أحمد** (٦ / ١٩) ، والترمذي (٢٢٤٩) وقال: حسن صحيح والحاكم وصححه على شرط مسلم ، ووافقه الذهبي (١ / ٣٤).

نقصها. فمن قنع برزقه لا يحتاج إلى ذلك الإثم ، ولا يداخل قلبه حسد لإخوانه على ما أوتوا ؛ لأنه رضي بما قسم له.[1]

قال ابن مسعود ﷺ : "اليقين ألا ترضي الناس بسخط الله؛ ولا تحسد أحدًا على رزق الله، ولا تلم أحدًا على ما لم يؤتك الله؛ فإن الرزق لا يسوقه حرص حريص، ولا يرده كراهة كاره ؛ فإن الله تبارك وتعالى- بقسطه وعلمه وحكمته جعل الرَّوْح والفرح[2] في اليقين والرضى، وجعل الهم والحزن في الشك والسخط".[3] **وقال بعض الحكماء**: "وجدت أطول الناس غما الحسود، وأهنأهم عيشًا القنوع ". [4]

---

[1] **أخرجه** مسلم (١٠٥٤)، والترمذي (٢٣٤٩).

[2] أي : الراحة. **انظر** : القاموس (٢٨٢) مادة "روح".

[3] **أخرجه** ابن أبي الدنيا في اليقين (١١٨).

[4] **أنظر** : القناعة لابن السني (٥٨) عن موسوعة نضرة النعيم (٣١٧٣).

٦- حقيقة الغنى في القناعة : ولذا رزقها الله تعالى نبيه محمدا ﷺ وامتن عليه بها فقال تعالى : { وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى } [الضحى: ٨]. فقد نزلها بعض العلماء على غنى النفس؛ لأن الآية مكية، ولا يخفى ما كان فيه ﷺ قبل أن تفتح عليه خيبر وغيرها من قلة المال.

وذهب بعض المفسرين إلى أن الله تعالى جمع له الغنائين: غنى القلب، وغنى المال بما يسر له من تجارة خديجة .

وقد بين عليه السلام : أن حقيقة الغنى غنى القلب فقال رسول الله ﷺ : ((ليس الغنى عن كثرة العَرَض ، ولكن الغنى غنى النفس)) .[1]

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال : **قال رسول اللّه** ﷺ : ((يا أبا ذر، أترى كثرة المال هو الغنى ؟)) **قلت** : نعم يا رسول الله ، قال : ((فترى قلة المال هو الفقر؟)) **قلت** : نعم يا رسول

---

[1] **أنظر**: فتح الباري لابن حجر العسقلاني (١١ / ٢٧٧).

اللّـه. قـال: ((إنمـا الغنـى غنـى القلـب ، والفقر فقر القلـب)) [1].

وتلك حقيقة لا مرية فيها ؛ فكم من غني عنده من المال ما يكفيه وولدَه ، ولو عُمِّر ألف سنة؛ يخاطر بدينه وصحته ، ويضحي بوقته يريد المزيد !

وكم من فقير يرى أنه أغنى الناس ؛ وهو لا يجد قوت غدِه !

فالعلة في القلوب : رضًى وجزعًا ، واتساعًا وضيقًا ، وليست في الفقر والغنى.

ولأهمية غنى القلب في صلاح العبد قام عمر بن الخطاب ﷺ خطيبًا في الناس على المنبر **يقول** : إن الطمع فقر ؛ لأن اليأس غنى ، وإن الإنسان إذا أيس من الشيء استغنى عنه.

---

[1] أخرجه البخاري (٦٤٤٦)، ومسلم (١٠٥١).

وأوصى سعد بن أبي وقاص ﷺ ابنه فقال : يا بني، إذا طلبت الغنى فاطلبه بالقناعة ؛ فإنها مال لا ينفد.

وسئل أبو حازم فقيل له : ما مالك؟" قال : لي مالان لا أخشى معهما الفقر: الثقة بالله، واليأس مما في أيدي الناس.

وقيل لبعض الحكماء : ما الغنى ؟ قال : قلة تمنيك ، ورضاك بما يكفيك.

في القناعة، والذل في الطمع : ذلك أن القانع لا يحتاج إلى الناس فلا يزال عزيزًا بينهم ، والطماع يذل نفسه من أجل المزيد ؛ ولذا جاء في حديث سهل بن سعد مرفوعًا : ((شرف المؤمن قيامه بالليل، وعزه استغناؤه عن الناس)) .[١]

وكان محمد بن واسع رحمه الله تعالى يبل الخبز اليابس بالماء ويأكله، ويقول : "من قنع بهذا لم يحتج إلى أحد".

---

[١] أخرجه أحمد في الزهد (١١٧)، وأبو نعيم في الحلية (١ / ٥٠).

وقال الحسن رحمه الله تعالى : لا تزال كريمًا على الناس ، ولا يزال الناس يكرمونك ،
ما لم تَعَاطَ ما في أيديهم ، فإذا فعلت ذلك استخفوا بك وكرهوا حديثك وأبغضوك".

وقال الحافظ ابن رجب رحمه الله : وقد تكاثرت الأحاديث عن النبي ﷺ بالأمر بالاستعفاف عن مسألة الناس ، والاستغناء عنهم .

فمن سأل الناس ما بأيدهم كرهوه وأبغضوه ؛ لأن المال محبوب لنفوس بني آم ، فمن طلب منهم ما يحبونه كرهوه لذلك.

والإمامة في الدين ، والسيادة والرفعة لا يحصلها المرء إلا إذا استغنى عن الناس ، واحتاج الناس إليه في العلم والفتوى والوعظ. **قال أعرابي لأهل البصرة :** من سيد أهل هذه القرية؟ قالوا : الحسن ، **قال :** بم سادهم ؟ **قالوا :** احتاج

الناس إلى علمه ، واستغنى هو عن دنياهم".[1]فرحمهم الله تعالى ، ورضي الله تعالى عنهم وأرضاهم.

تربيته ﷺ أهله على القناعة :

لقد ربى النبي ﷺ أهله على القناعة بعد أن اختار أزواجه البقاء معه، والصبر على القلة، والزهد في الدنيا حينما خيرهن بين الإمساك على ذلك أو الفراق والتمتع بالدنيا كما[2] قال اللّه تعالى:

{ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا }{ وَإِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا } [الأحزاب: ٢٨، ٢٩]. فاخترن رضي اللّه

---

[1] **أنظر** : إحياء علوم الدين (٣ / ٢٩٣) ، وجامع العلوم والحكم (٢ / ١٦٩).

[2] **راجع** : إحياء علوم الدين، وفتح الباري لابن حجر .

عنهن الآخرة ، وصبرن على لأواء الدنيا، وضعف الحال، وقلة المال طمعًا في الأجر الجزيل من اللّه تعالى .

صورة من قناعة الصحابة والسلف الصالح:

وسار على منهج رسول اللّه ﷺ صحابته الكرام رضي اللّه عنهم والتابعون لهم بإحسان؛ فقد عاشوا أول الأمر على الفقر والقلة، ثم لما فتحت الفتوح واغتنى المسلمون بقوا على قناعتهم وزهدهم، وأنفقوا الأموال الطائلة في سبيل الله تعالى،

وهذه نماذج من عيشهم وقناعتهم:

عن أبي هريرة ﷺ قال : "رأيت سبعين من أهل الصفة ما منهم رجل عليه رداء، إما إزار وإما كساء قد ربطوا في أعناقهم، فمنها ما يبلغ نصف الساقين، ومنها ما يبلغ الكعبين، فيجمعه بيده كراهية أن ترى عورته".

ثم فتح الله على المسلمين ، وأصبح المال العظيم يرسل إلى عائشة رضي الله عنها ، فبقيت على قناعتها وزهدها

وأخذت تفرق المال على محتاجيه ؛ فقد بعث إليها معاوية ﷺ بمائة ألف درهم.

قال عروة بن الزبير : فواللّه ما أمست حتى فرقتها،، **فقالت لها مولاتها** : لو اشتريت لنا منها بدرهم لحمًا"! **فقالت**: "ألا قلت لي؟". لقد نسيت نفسهارضي اللّه عنها، وفرقت مالها ، واستمرت على قناعتها بعد وفاة رسول اللّه ﷺ .

وعن أم ذرة قالت: بعث ابن الزبير إلى عائشة بمال في غرارتين يكون مائة ألف ، فدعت بطبق ؛ فجعلت تقسم في الناس، **فلما أمست قالت** : "هاتي يا جارية فطوري "، فقالت أم ذرة : "يا أم المؤمنين ! أما استطعت أن تشتري لنا لحمًا بدرهم؟" قالت: لا تعنفيني، لو أذكرتني لفعلت".[1]

فهل تقتدي نساء المسلمين بعائشة – رضي اللّه عنها– بدلًا من سرف الإنفاق على النفس وحظوظها والزينة؟!.

---

[1] أخرجه أبو نعيم (٢ / ٤٧)، والحاكم (٤ / ١٣).

وعن عامر بن عبد اللّه : أن سلمان الخير حين حضره الموت عرفوا منه بعض الجزع. **قالوا** : ما يجزعك يا أبا عبد اللّه، وقد كانت لك سابقة في الخير؟ شهدت مع رسول اللّه ﷺ مغازي حسنةً ، وفتوحًا عظاما ! **قال** : يجزعني أن حبيبنا ﷺ **حين فارقنا عهد إلينا. قال:** "لَيكفِ اليوم منكم كزاد الراكب" فهذا الذي أجزعني؛ فجُمعَ مال سلمان فكان قيمته خمسة عشر دينارًا.[1] وكتب بعض بني أمية إلى أبي حازم رحمه اللّه تعالى يعزم عليه إلا رفع إليه حوائجه **فكتب إليه** : "قد رفعت حوائجي إلى مولاي ، فما أعطاني منها قبلت ، وما أمسك منها عني قنعت .[2]

---

[1] أخرجه الطبراني في الكبير والرواية الثانية له (٦١٨٢، وأبو نعيم في الحلية (١ / ١٩٧)، وصححه ابن حبان (٧٠٦).

[2] أنظر : الإحياء (٣ / ٢٣٩)، والقناعة لابن السني (٤٣) عن نضرة النعيم (٣١٧٣).

الباب السادس

في الغضب ودفع الكبر

ولا ينبغي للغضبان على الشخص أن يعاقبه في حال غضبه ، وإن كان مستحقاً ؛ بل يمهل حتى يسكن الغضب ، لتكون العقوبة بمقدار الإساءة ، لا بمقدار الغضب .

أتى عمر بن عبد العزيز برجل كان واجداً عليه ، **فقال** : لولا أنى غضبان لضربتك ثم خلى سبيله .

والكبر تعظيم شأن النفس واحتقار الغير ، وذلك يكون بسبب الترفع على ما هو دونه إما في النسب أو المال أو العلم أو العبادة أو غير ذلك .

وعلامة الكبر الأنفة ممن يتكبر عليه ، والاختيال والفخر ومحبة تعظيم الناس له **وعلاج ذلك نوعان** : جملي ، وتفصيلي ؛ **فأما الجملي** : فنوعان ، علمي ، وعملي .

فالعلمي : في الأدلة السمعية والعقلية على رذائل الكبر .

وأما العملي : فصحبة المتواضعين وسماع أخبارهم .

وأما التفصيلي : فإن ينظر إلى رذائل النفس ، وأن يعلم أن ما يتكبر به إن كان مالاً فهو مأخوذ منه عن قريب ، والفضل إنما يكون في الغنى عن الشئ لا به ، لأن الغنى في الشئ فقير إليه .

وإن كان علماً فقد سبقه خلق كثير أعلم منه ، ثم علمه ينهاه في حالته ، فهو حجة عليه ، كذلك إن كان عملاً تم رؤيته للعمل بعين التمام نقيصه .

وعن أبي سلمة ، قال : التقى عبد الله بن عمرو وابن عمر على المروة ، فنزلا فتحدثا ، ثم نزل عبد الله بن عمرو ، وقعد ابن عمر يبكي ،

فقيل له : ما يبكيك ؟ **فقال** : هذا - **يعني عبد الله بن عمرو** زعم أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : ((**من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر كبَّه الله تعالى في النار على**

وجهه)) . [1] وبسنده إلى إياس بن سلمة ، عن أبيه ،
قال : قال رسول الله ﷺ :

((لا يزال الرجل يذهب بنفسه حتى يكتب من الجبارين حتى يصيبه ما أصابهم)) . [2]

وفي أفراد مسلم من حديث ابن مسعود ، عن النبي ﷺ إنه قال :

((لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر ، فقال الرجل : إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسنة ، قال : إن الله جميل يحب الجمال ، الكبر بطر

---

[1] أخرجه البيهقي (١٠ / ١٩١) وذكره الهيثمي في " مجمع الزوائد " (١ / ٩٨) وعزاه إلى الطبراني في " الكبير " و " أحمد " وقال الهيثمي : " رجاله رجال الصحيح " .

[2] أخرجه الترمذي (ح / ٣٠٠٠) والبغوي (١٣ / ١٦٧) وضعيف الجامع (ح / ٦٣٤٤) .

الحق وغمط الناس)) .[1] **وفي إفراده من حديث الأغر عن أبي هريرة وأبي سعيد ، قالا :** قال رسول الله ﷺ : **((يقول الله عز وجل : العز إزاري ، والكبرياء ردائي ، فمن نازعني فيهما عذبته)) .**[2]

قال الخطابي : ومعنى هذا الكلام أن الكبرياء والعظمة صفتان لله اختص بهما لا يشركه فيهما أحد ولا ينبغي لمخلوق أن يتعاطهما ، لأن صفة المخلوق التواضع والتذلل ، وضرب الرداء والإزار مثلاً يقول والله أعلم ، كما لا يشرك الإنسان في إزاره وردائه فكذلك لا يشركني في الكبرياء

---

[1] أخرجه مسلم في (الإيمان ، ح / ١٤٧ ، ١٤٩) وأبو داود (ح / ٤٠٩١) والترمذي (ح / ١٩٩٨ ، ١٩٩٩) وابن ماجة (ح / ٥٩ ، ٤١٧٣) والمشكاة (٥١٠٨) .

[2] أخرجه مسلم في (البر ، ح / ١٣٦) بلفظ : ((العز إزاره ، والكبرياء رداؤه فمن ينازعني عذبته)) .

والعظمة مخلوق . **قال** : **وقوله** : لا يدخله الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر يتأول على **وجهين** : **أحدهما** : أنه كبر الكفر .

والثاني : أنه ينزع الكبر من قلوب أهله قبل دخولهم الجنة ، **وقوله** : وغمط الناس أنه أزرى بهم واستخف بهم ، **ويقال** : غمط ، وغمص .

ويسنده **إلى الحسن** ، **قال** : تراهم يهدون عند هدير الفحل ، أنت والله وتراه مقنعاً ساكتاً يحسب حميق أنه مثل ما يقال له ، **قال** : وترى أحدهم يتخزل في مشيته يسحب عظامه عظماً لا يمشي طبيعة .

* * *

الباب السابع

في دفع العجب

العُجْب إنما ينشأ من حب النفس . والمحبوب لا ترى زلته ولا يعتقد نقصه ، بل يرى بعين الكمال ومن بلايا العجب أنه يؤدي إلى بغض الأمر الذي به وقع العجب ، لن المعجب بنفسه في أمر لا يتزيد منه .

ثم يترقى على أن يعيب غيره في الاعتقاد والنقص في سواه . وعلاج العجب البحث عن عيوب النفس على ما بيننا آنفاً ، وسؤال الغير عن قبائحها ومعايبها ، والنظر في أحوال من سبقه إلى ما أعجب به وبرز عليه ، فإن عجب العالم بعلمه فلينظر في سير العلماء أو بزهده ، فلينظر في سير الزهاد ، فحينئذ لا يعد نفسه . **فقد كان الإمام أحمد يحفظ ألف ألف حديث** ، وكان كهمس بن الحسن يختم كل يوم وليلة ثلاث مرات ، وصلى سلمان التيمي بوضوء العتمة أربعين سنة .

ومن تأمل سير القوم رأى نفسه فيما حصل بالإضافة إليهم كمن معه دينار يعجب به ولا يدري أن في الدنيا من يملك ألوفاً كثيرة .

ويسنده قال إبراهيم الخواص : العُجْب يمنع من معرفة قدر النفس .

وقال بعض الحكماء : عجب المرء بنفسه أحد حساد عقله ، وما أضر العجب بالمجلس .

***

الباب الثامن
في دفع الرياء

من عرف الله تعالى حق معرفته أخلص له عمله ، وإنما يقع الرياء من قلة المعرفة له ، وتعظيم قدر الحق ، وإيثار النفس مدحهم ، وحمدهم والناس في هذا المرض متفاوتون ؛ فمنهم من لا يقصد بعمله إلا مدح الخلق له .

ومنهم من يريد الله بعمله ويريد مدح المخلوقين ، ومنهم من لا يقصد الخلق أصلاً ، فإذا طلعوا عليه حسن العمل وجوده ليمدح تحقيق معرفة الله سبحانه ، فمن عرفه أفرد القصد له ولم يغيره.

وأقام نفسه مقام العابد الذليل للمعبود ؛ لا في مقام معبود ممدوح ، ورأى أن حصول الأجر إنما يكون بخالص العمل ، فاحترس من تعب ضائع . والعقوبة على الرياء شديدة .

بسنده حديث عمر بن الخطاب : ((**إنما الأعمال بالنية ، وإنما لكل امرئ ما نوى**)) . [1]

ويسنده إلى **أبي موسى** ، **قال** : جاء رجل إلى النبي ﷺ ، فقال : ((**من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل**

---

[1] أخرجه البخاري في (الإيمان ، ح / ١) ومسلم في (الإمارة ، ح / ١٥٥) .

الله)) متفق عليه .[1] **وبسنده إلى أبي هريرة ، قال : قال له ناتل الشامي** : أيها الشيخ حدثنا حديثاً سمعته من رسول الله ﷺ **فقال** : سمعت رسول الله . ﷺ . **يقول : ((إن أول الناس يقضى فيه يوم القيامة ثلاثة :**

رجل استشهد فأتى به فعرفه نعمه فعرفها .

فقال : ما علمت فيها ؟

قال : قاتلت فيك حتى قتلت .

قال : كذبت ، ولكنك قتلت ليقال : هو جرئ ، فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار ، ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن فأتى به فعرفه نعمه فعرفها .

فقال : ما علمت فيها .

قال : تعلمت فيك العلم وعلمته ، وقرأت القرآن .

---

[1] أخرجه البخاري في (العلم ، ح / ١٢٣) ومسلم في (الإمارة ، ح / ١٤٩ . ١٥١) .

فقال : كذبت ، ولكنك تعلمت ليقال : هو عالم ، وقرأت القرآن ليقال هو قارئ فقد قيل .

ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار ، ورجل وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال كله فأتى به فعرفه نعمه فعرفها .

فقال : ما علمت فيها .

قال : ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك .

قال : كذبت ولكنك فعلت ليقال هو جواد فقد قيل ، **ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار))** .[1] انفرد بإخراجه مسلم .

وبسنده إلي أبي هريرة عن النبي ـ ﷺ ـ يرويه عن ربه عز وجل ، قال : **((أنا خير الشركاء فمن عمل عملاً فأشرك**

---

[1] أخرجه مسلم في • الإمارة ، ح / ١٥٢ ٩ والمشكاة (٢٠٥) .

فيه غيري فأنا بريئ منه ، وهو للذي أشرك)) [1] أخرجه مسلم .

ويسنده إلى محمود بن لبيد أن رسول الله - ﷺ - قال : ((إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر ، قالوا : وما الشرك الأصغر يا رسول الله ؟ !

قال : الرياء ، يقول الله تعالى لهم يوم القيامة إذا جازى الناس بأعمالهم ذهبوا إلى الذين كنتم تراءون في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاءاً)) . [2]

ويسنده على أبي حازم قال : لا يحسن عبد فيمالا بينه وبين العباد و لا بعور فيما بينه وبين الله إلاَّ عوَّرَ الله ما

---

[1] أخرجه مسلم في (الزهد ، ح / ٤٦) وأحمد ، ٢ م ٣٠١) وابن خزيمة (٩٣٨) .

[2] أخرجه احمد (٥ / ٤٢٨) والمشكاة (٥٣٣٤) وصحيح الجامع (ح / ١٥٥٥) .

بينه وبين العباد ، ولمصانعة وجه واحد أيسر من مصانعة الوجوه كلها ، إنك إن صانعت هذا الوجه مالت إليك الوجوه كلها ، وإذا أفسدته شنأتك الوجوه كلها . [1]

ويسنده إلى ابن توبة أبي جعفر عبد الله قال : رأيت أبا بكر الآدمي القارئ في النوم بعد موته يمد يده ، **فقلت له** : فتلك الليالي والمواقف والقرآن.

فقال : ما كان شئ أضر عليَّ منها لأنها كانت للدنيا.

فقلت : فإلى أي شئ انتهى أمرك ؟

قال لي : تعالى آليت على نفسي أن لا أعذب أبناء الثمانين.

***

---

[1] أخرجه أبو نعيم في " الحلية " (٣ / ٢٣٩) من طريق أحمد بن حنبل .

الباب التاسع
في دفع فضول الفكر

اعلم أن الفكر يراد لاستدراك فارط ، والنظر في مصلحة مستقبلة ؛ فإذا كان فيما لا يثمرها كان ضرراً ، وإذا كثر أنهك البدن .

قال بقراط : ينبغي للعلماء أن يتركوا الفكر وقتاً ما لئلا ينهك أبدانهم .

قلت : ولا يجوز للعاقل أن يخلي نفسه من الفكر ولك يكون فيما يتصور له نيله ، فأما إذا تفكر العامي في أن يكون خليفة وأن ينال علم أبي حنيفة والشافعي ، ثم يجمع بينه وبين زهد بشر ومعروف الكرخي ، ويحصل مثل نال عبد الرحمن بن عوف ؛ فهذه أفكار تضني وتردي خصوصاً إذا قنع بالفكر ، واستعمل الكسل عن الطلب ، وإنما ينبغي أن يتفكر في جهاده للطبع في دفع الشر ، فقد تفكر خلق كثير

من العصاة في عواقبهم ، فتابوا وكثير من الملوك في غرور الدنيا ، فتزهدوا .

قال ابن عباس : ركعتان مقتصدتان في تفكر خير من قيام ليلة والقلب ساه . [1]

ويسنده إلى أم الدر داء ، **قيل لها** : ما كان أفضل عمل أبي الدر داء ؟ **قالت** : التفكر والاعتبار . [2]

ووقف مالك بن دينار ليلة في داره على قدمه إلى الفجر ، **فقال** : مازال أهل النار يعرضون عليَّ بسلاسلهم وأغلالهم إلى الصباح .

وقال بعض الحكماء : بترداد الفكر ينجاب العمى .

* * *

---

(١) **أخرجه** ابن المبارك في " الزهد " (ص ٤٠٣) .

(٢) **أخرجه** ابن المبارك في " الزهد " (ص ٣٠٢) .

الباب العاشر

في دفع فضول الحزن

اعلم أن العاقل لا يخلو من الحزن ؛ لأنه يتفكر في سالف ذنوبه فيحزن على تفريطه ، وفيما قال العلماء والصالحون فيحزن لفوته .

بسنده إلى **مالك بن دينار قال** : إن القلب إذا لم يكن فيه حزن خرب ، كما أن البيت إذا لم يسكن خرب . [١]

ويسنده إلى إبراهيم بن عيسى رحمه الله ، قال : ما رأيت أطول حزناً من الحسن ، وما رأيته قط إلا حسبته حديث عهد بمصيبة .[٢]

ويسنده إلى مالك بن دينار قال : بقدر ما تحزن للدنيا كذلك يخرج هم الآخرة من قلبك ، وإذ قد تبين أن الحزن لا يزال

---

[١] أخرجه أبو نعيم في " الحلية " (٢ / ٣٦٠) .

[٢] أخرجه أبو نعيم في " الحلية " (١٠ / ٣٩٣) .

ملازماً قلوب المتقين فينبغي أن يتقي إفراطه لأن الحزن على الفائت وقد عرفنا طريق الاستدراك .

وجاء في الحديث : ((**بقية عمر المؤمن لا قيمة له يستدرك فيه ما فات**)) فإن كان المحزون عليه لا يمكن استدراكه لم ينفع الحزن ، وإن كان ديناً فينبغي أن يقاومه برجاء الفضل والرحمن ليعتدل الحال ، فإما إذا كان الحزن لأجل الدنيا وما فات منها فذلك الخسران المبين ، فليدفعه العاقل عن نفسه .

وأقوى علاجه أن يعلم أنه لا يرد فائتاً وإنما يضم إلى المصيبة فتصير اثنين ، والمصيبة ينبغي أن تخفف عن القلب وتدفع ، فإذا استعمل الحزن والجزع زادت ثقلاً .

قال **ابن عمرو** : إذا استأثر الله بشيء فالة عنه ثم في الخلف عن الفائت ما يسلي ، فإن عدم ما يسلس اجتهد في صرف ذلك عن قلبه ، وليعلم أن الداعي إلى الحزن الهوى ،

لا العقل ، لأن العقل لا يدعو إلى ما لا ينفع ، وليعلم أنه سيسلو بعد حين ، فليجتهد في تقديم المؤخر ، وليرتح ما بين الزمانيين ، ومما يمحق الحزن بأنه لا يفيد ، والإيمان بالثواب ، ويذكر من لأصابه أكثر من مصيبته .

* * *

الباب الحادي عشر
في دفع فضول الغم والهم

الغم يكون للماضي ، والهم للمستقبل ، فمن اغتم لما مضى من ذنوبه نفعه غمه على تفريطه ، لأنه يثاب عليه ، ومن اهتم بعمل خير ، نفعته همته ، فإما إذا اغتم لمفقود من الدنيا لا يرجع ، والغم يؤذي ، فكأنه أضاف إلى الأذى أذى ، كما قلنا في الحزن .

وينبغي للحازم أن يحترز مما يجلب الغم ، وجالبه فقد المحبوب ، فمن كثرت محبوباته كثر غمه ، ومن قللها قل

غمه ، **فإن قال قائل** : إذا لم أجد محبوباً اغتممت ، **قيل له** صدقت ، ولكن لا يبلغ غمك بالعدم معشار عشر غم من فقد المحبوب ، ألا ترى أن من لا ولد له يغتم ، ولكن لا كغم من أصيب بولده ، ثم إن الإنسان كلما طال ألفه لما يحبه واستمتاعه به تمكن من قلبه ، فإذا فقد أحس من مَر التألم في لحظة لفقده بما يزيد على لذات دهره المتقدم .

وهذا لأن المحبوب ملائم للنفس كالصحة فلا تجد النفس لذتها إلا عند وجودها ، وفقدها مناف لها.

ولذلك تألم بالفقد ما لا تفرح بالموجود لأنها ترى وجود المحبوب كالحق الواجب لها ، فينبغي للعاقل تقليل الألفة ، فإن اضطر إلى جوالب الغم فأثمرت الغم فعلاجه في الأول الإيمان بالقدر ، وأنه لا بد مما قضى ثم يعلم أن الدنيا موضوعة على الكدر ، فالبناء إلى النقض ، والجمع إلى التفرق ، ومن رام بقاء ما لا يبقى كان كمن رام وجود ما لا

يوجد ، فلا ينبغي أن يطلب من الدنيا ما لم توضع عليه كما قال الشاعِر :

طبعت على كدر وأنت تريدها   صفواً من الإيذاء والأكدار

ثم يتصور ما نزل به مضاعفاً فيهون عليه حينئذ ما هو فيه ، ومن عادة الحمال الحازم أن يترك فوق حمله شيئاً ثقيلاً ، ثم يمشي خطوات ، ثم يولي به فيخف المر عنه ، ثم ليرتقب زمن العافية هجوم البلاء ، فإذا هجم ما يكرهه ، وليتمثل كلما يتصور نزوله نازلاً ، فإذا نزل بعض ذلك كان ربحاً مثل أن يتصور أن يؤخذ ماله كله ، فإذا أخذ البعض عد الباقي غنيمة ، ويتصور أن يعمى ، فإذا رمد سهل الأمر ، وكذلك جميع المضرات ، قال الشاعر :

يمثل ذو اللب في نفسه   مصائبه قبل أن تنزلا

فإن نزلت بغتة لم ترعه   لما كان في نفسه مثلا

وذو الجهل يأمن أيامه   وينسى مصارع من قد خلا

فإن بدهته صروف الزمان   ببعض مصائبه أعولا

ولو قدم الحزن في أمره   لعلمه الصبر حسن البلا

قال بعض السلف : رأيت امرأة فتعجبت من نضارتها ، **فقلت** : هذا وجه ما طرقه حزن .

فقالت : لا تقل هذا ، فما أعرف من ناله ما نالني ؛ كان لي زوج ، فاشترى أضحية فذبحها ، وله ولدان .

فقال الأكبر للأصغر : تعال حتى أريك كيف ذبح أبي الشاة ، فذبحه ، فلما طلبناه هرب ، فخرج الأب في طلبه فهلكا .

فقلت : وكيف حزنك ؟

قالت : لو وجدت في الحزن دركاً لاستعملته .

الباب الثاني عشر

في الحزن دفع فضول الخوف والحذر من الموت

وقد يقع الحزن والغم من غلبة السواد فيعالج بما يزيل السواد بالفرحات .

والغم يجمد الدم ، والسرور يلهب الدم حتى تعلو حرارته الغريزية ، وجميعاً يضران ، وربما قتلا إن لم يعجل تفتيرهما.

الخوف والحذر إنما هما للمستقبل ، والحازم من أعد للخوف عدته قبل وقوعه ، ونفي فضول الخوف مما لابد منه ، إذ لا ينفعه خوفه منه ، وقد اشتد الخوف من الله تعالى بكثير من الصالحين حتى سألوا الله تعالى تقليل ذلك ، والسبب في سؤالهم أن الخوف كالسوط فإذا ألح بالسوط على الناقة قلقت ، وإنما ندب به المتواني .

بسنده إلى أبي سفيان الثوري ، قال لشاب يجالسه : أتحب أن تخشى الله حق خشيته ؟

قال : نعم .

قال : أنت أحمق لو خشيته حق خشيته ما أديت الفرائض .

***

الباب الثالث عشر

في أن العاقل لا ينبغي أن يخاف

ولا ينبغي للعاقل أن يشتد خوفه من نزول المرض ، فإنه نازل لابد ، وخوف ما لابد أن يأتي زيارة أذى ، فأما الخوف من الموت والفكر فيه ، فإنه لا سبيل إلى دفعه عن النفس ، وإنما يخفف الأمر العلم بأنه لا بد منه ، فلا يفيد الحذر إلا زيادة على المحذور ، وكلما تصورت شدته كانت كل تصويره موتاً ، فليصرف الإنسان فكره عن تصور الموت ليكون ميتاً مرة لا مرات . **ويكون صرف الفكر ربحاً ، وليعلم أن الله تعالى قادر على تهوينه إذا شاء ، وليوقن بأن ما بعده أخوف منه ، لأن الموت قنطرة إلى منزل إقامة .**

وإنما ينبغي للإنسان أن يكثر من ذكر الموت ليعمل له ، لا لنفس تصويره وتمثيله ، فإن خطر على القلب الحزن على فراق الدنيا فعلاج ذلك أن يعلم أنها ليست بدار لذة ، وإنما لذاتها راحة من مؤلم ، ومثل هذا لا ينافس فيه ، فإن حزن العاقل على فراق دنيا لفوت العمل الصالح ، فقد كان السلف يحزنون لذلك .

قال معاذ بن جبل عند موته : الله إنك تعلم أني لم أكن أحب الدنيا وطول البقاء فيها لكرى الأنهار ولا لغرس الأشجار ، ولكن لظمأ الهوا جر ومكابدة الساعات ومزاحمة العلماء بالركب عند حلق الذكر .

* * * *

الباب الرابع عشر
في الموت

ومن نزل به الموت فليعلم أنها ساعة تحتاج إلى معاناة صعبة لأن صورتها ألم محض ، وفراق المحبوبات ، ثم ينضم إلى ذلك هول السكرات ، والخوف من المال مآل ، ويأتي الشطان فيسخط العبد على ربه .

ويقول : انظر في أي شئ ألقاك ، وما الذي قضي عليك ، وكيف يؤلمك ، وها أنت تفارق والدك وأهلك وتلقى بين أطباق الثرى ، فربما أُسخطه على ربه وكره قضاء الله تعالى إليه .

وأنطقه بكلام يتضمن نوع اعتراض ، وربما حسن إليه الجور في الوصية ، وأن يزوي لبعض الورثة إلى غير ذلك من المحن ، فتعيَّن حينئذٍ الحاجة إلى معالجة إبليس ومعالجة النفس .

وقد نقل أبو داود من حديث أبي اليسر عن النبي ﷺ أنه كان يقول رسول الله ﷺ : ((**أعوذ بك أن يتخبطني الشيطان عند الموت**)) .[1]وفي تلك الساعة يقول الشيطان **لأعوانه** : إن فاتكم الآن لم تقدروا عليه أبداً .

فأما العلاج لتلك الشدائد فينبغي أن نذكر قبله مقدمة ، وهو أن من حفظ الله في صحته حفظه الله في مرضه ، ومن راقب الله في خطرا ته حرسه الله عند حركات جوارحه .

وفي حديث ابن عباس عن النبي ﷺ أنه قال : ((**احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده أمامك ، تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة**)) .[2]ثم قد سمعت قصة يونس عليه السلام لما كانت له أعمال خير متقدمة انتاشته من شدته

---

[1] أخرجه أبو داود (ح / ١٥٥٢ ، ١٥٥٣) والنسائي (٨ / ٢٣٨) من طريق أفلح مولى أبي أيوب .

[2] أخرجه الترمذي (ح / ٢٥١٦) وأحمد (١ / ٣٠٧ ، ٣٠٨) .

فقال تعالى : { فَلَوْلا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ * لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [الصافات:١٤٣ . ١٤٤] .

ولما لم يكن لفرعون عمل خير لم يجد وقت الشدة متعلقاً ، فقيل له : ﴿الآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ (يونس:٩١) وكان عبد الصمد الزاهد يقول عند الموت : ((سيدي لهذه الساعة خبأتك فأما من ضيع في صحته فأنه يضيع في مرضه)) .

كما نقل هن بعض الصحابة أنه رأى شيخاً يطلب من الناس ، **فقال** : هذا ضيع أمر الله في صغره فضيعه الله في كبره .

فأما نفس العلاج فينبغي أن تشجع النفس ، **وتقول لها** : إنما هي ساعة ثم أرجو كمال الراحة كما قال عليه السلام : ((**لا كرب على أبيك بعد اليوم**)) . [1]

---

[1] أخرجه ابن ماجة (ح / ١٦٢٩) والشمائل (٢١١) .

ودعى أبو بكر بن عياش عند الموت إلى الرجاء فقال : كيف لا أرجوه وقد صمت له ثمانين رمضان .

وقال المعتمر بن سليمان : قال لي أبي : يابني اقرأ عليَّ أحاديث الرخص لعلي ألقي الله وأنا حسن الظن به . فينبغي للمؤمن أن يرمي صوت الخوف ويحدو **الناقة كما قال حادي البادية :**

بشرها دليلها وقالا غداً ترين الطلح والجبالا

بسنده **إلى أبي هريرة ، قال** : قال رسول الله . ﷺ . : **((قال الله عز وجل أنا عند ظن عبدي بي))** متفق عليه .[1]

بسنده إلى جابر ، قال : قال سمعت رسول الله . ﷺ . قبل موته بثلاث يقول : **((لا يموت أحدكم إلا وهو يحسن بالله**

---

[1] أخرجه البخاري في (التوحيد ، ح / ٧٤٠٥) ومسلم في (الذكر ، ح / ٢٦٧٥) اللؤلؤ والمرجان .

الظن)) أخرجه مسلم .[1] **وقال الفضيل بن عياض** : الخوف أفضل من الرجاء فإذا نزل الموت فالرجاء أفضل .

قلت : وهذا صحيح لما بينا من أن الخوف سوط يساق به المتواني ، فإذا كَلَّ البعير لم يبق إلا الرفق ، **فإن قيل** : فما القول في خوف عمر بن عبد العزيز عند الموت ، فالجواب أنه لما تعلقت به حقوق الرعية خاف من مطالب طبعه مبني على الشح ، **كان يقول** : إنما أخاف ولايتكم هذه على أنه قد كان يتمسك بأذيال الرجال ، **فإن ابن عباس لما قال له** : أبشر يا أمير المؤمنين ولِّيتَ فَعَدَلْتَ ثم شهادة ، **فقال** : أتشهد لي بهذا عند الله يا ابن عباس .

***

---

[1] أخرجه أبو داود (ح / ٣١١٣) .

الباب الخامس عشر

فصل في اشتداد الكرب على المريض

فإن اشتد بالمريض كرب ، فليحسب ذاك في باب الأجر ، فقد كانوا يستحبون للمريض شدة الفزع ليكفر ذلك عنه الذنوب ، بسنده إلى إبراهيم ، **قال** : كانوا يحبون أن يجهدوا عن الموت .

وذكر بسنده عن عمر بن عبد العزيز ، **قال** : ما أحب أن تهون عليَّ سكرات الموت أنه آخر ما يكفر به عن المرء المسلم .

وينبغي للمريض مادام ثابت العقل أن يتوب ليلقي الله طاهراً من كل ذنب ، وأن يجرد وصيته ، وأن يسلم أهله وولده إلى الله سبحانه وتعالى ، فإنه يتولى الصالحين .

فإن أزعجه الشيطان بذكر البلى ، فليعلم أن البلى واقع على المركب والراكب قد رحل ، وليعلم أن الشريعة

قد مضت بوصول المؤمن بعد الموت إلى النعيم الدائم ن فمن حقق الإيمان لم يحزن ، لأن مآل المؤمن إلى الخير ، ومن لم يتحقق الإيمان فليحزن لفقد التحقيق . وبسنده إلى كعب عن النبي ـ ﷺ ـ قال : ((**نسمة المسلم طير تعلق في شجر الجنة حتى يرجعها الله إلى جسده**)) .[1] ومقصودنا من هذا الباب أن يكون الخوف من الموت بمقدار لئلا ينهك البدن ويبالغ في الأذى ، وأن يخاف لما بعد الموت فيعمل له.

وإذا اشتد الفرح التهب الدم ، وذلك يضر ، وربما قتل إن لم يعدل ، وينبغي للإنسان إذا رأى أسباب الفرح أن يدرج نفسه إليه ، فإن يوسف ـ ﷺ ـ لما التقى بأخيه سأله هل لك من أب.

---

[1] أخرجه أحمد (٣ / ٤٥٥ ، ٤٦٠) والطبراني في " الكبير " (١٩ / ٦٤) وصحيح الجامع (ح / ٢٣٧٣) .

ولم يزل يلاطفه لئلا يفجأه بالسبب المفرح ، والفرح ينبغي أن يكون بمقدار ليعدل الحزن ، فأما إذا أفرط فإنه دليل على الغفلة القوية ، إذ لا وجه للفرح عند العاقل ، فإنما يفرح بالطبع لما يفرح ، ثم يذك مصيره وخوف مآله ، فينمحي ذلك الفرح ، ومتى قويت غفلة الفرح حملت إلى الأشر والبطر ، ومن هذا قوله تعالى : **﴿ لا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾ (القصص:٧٦)** يعني الأشرين الذين خرجوا بالفرح إلى البطر .

وعلاج شدة الفرح بالفكر فيما قد سلف من الذنوب ، وفيما بين يدي العبد من الشدائد . **وقد قال الحسن البصري :** فضح الموت الدنيا فلم يترك لذي لب بها فرحاً .

***

الباب السادس عشر

في دفع الكسل

الموجب للكسل حب الراحة ، وإيثار البطالة ، وصعوبة المشاق . وفي الصحيحين من حيث أنس بم مالك أن النبي . ﷺ . كان يكثر أن يقول : **((اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن والعجز والكسل))** .[1]

وفي إفراد مسلم رحمه الله من إفراد أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال :

((المؤمن القوي، خير وأحب إلى الله ، من المؤمن الضعيف)) .[2]

---

[1] خرجه البخاري في (الدعوات ، ح / ١٥٨٧) ومسلم) ص ٢٠٧٩ ، ٢٠٨٨) .

[2] أخرجه مسلم في (القدر ، ح / ٣٤) وابن ماجة (ح / ٧٩ ، ٤١٦٨) وأحمد (٢ / ٣٧٠) .

وفي كل حين أحرص على ما ينفعك ، واستعن بالله ولا تعجز ، فإن أصابك شئ فلا تقل لو أني فعلت كذا كان كذا ، ولكن قل قدر الله وما شاء فعل ، فإن لو يفتح عمل الشيطان .

وقال ابن مسعود : إني لأبغض الرجل أراه فارغاً ليس في شئ من عمل الدنيا ولا عمل الآخرة [1]، **وقال** : يكون في آخر الزمان أقوام أفضل أعمالهم التلاوم بينهم يسمون الأتيان.

وقال ابن عباس : تزوج التواني بالكسل فولد بينهما الفقر .

وقال مالك بن دينار : ما من أعمال البر شئ إلا ودونه عقبة ، فإن صبر صاحبها أفضت به على روح ، وإن جزع رجع .

وقال سفيان الثوري : مضى القوم على الخيل العتاق وبقينا على حمر دبرة .

---

[1] أخرجه أبو نعيم في " الحلية " (١ / ١٣٠) .

وعلاج الكسل تحريك الهمة بخوف فوات القصد ، وبالوقوع في عقاب اللوم ، أو بالحصول في بيد التأسف فإن أسف المفرط إذا عاين أجر المجتهد أعظم من كل عقاب ، وليفكر العاقل في سوء مغبة الكسل ، فرب راحة أوجبت حسرات وندماً ، ومن رأى جاره قد سافر ثم عاد بالأرباح زادت حسرة أسفه على لذة كسله أضعافاً ، وكذلك إذا برع أحد الرفيقين في العلم وتكاسل الآخر .

وقد أجمع الحكماء على أن الحكمة لا تدرك بالراحة ، فمن تلمح ثمرة الكسل اجتنبه ، ومن مد فطنته إلى ثمرات الجد نسي مشاق الطريق .

ثم إن اللبيب يعلم أنه لم يخلق عبثاً ، وإنما هو في الدنيا كالأجير أو كالتاجر . ثم إن زمان العمل بالإضافة إلى مدة البقاء في القبر كلحظة ثم إضافة ذلك إلى البقاء السرمدي ، أما في الجنة وأما في النار ليس بشيء .

ومن أنفع العلاج النظر في سير المجتهدين ، فالعجب من مؤثر البطالة في موسم الأرباح وتارك الاستلاب وقت النثار.

بسنده إلى فرقد ، قال : إنكم لبثتم ثياب الفراغ قبل العمل ألم تروا إلى الفاعل إذا عمل كيف يلبس أدنى ثيابه ، فإذا فرغ اغتسل ولبس ثوبين نقيين ، وأنتم لبستم ثياب الفراغ قبل العمل . [1]

* * *

الباب السادس عشر
في تعريف الرجل عيوب نفسه

اعلم أن النفس محبوبة وعيوب المحبوب قد تخفى على المحب ، وفي الناس من يقوى نظره وجهاده للنفس فينزلها منزلة العدو في المخالفة فيظهر له عيوبها . **قال إياس بن معاوية** : من لم يعرف عيب نفسه فهو أحمق ،

---

[1] أخرجه أبو نعيم في " الحلية " (٣ / ٤٧) .

فقيل له : فما عيبك ؟

قال : كثرة الكلام .

وهذا أمر نادر والعمل على الغالب ، فإن الغالب أن يخفى الإنسان عيوب نفسه ، ولسنا نريد انه لا يعرف عيباً فإن العاقل إذا أتى عيباً عرفه ، وإنما غرضنا العيوب الباطنة ، فإنها كالأمراض الباطنة التي لا يعلم بها الطبيب فيصف لها دواءً .

ولا عليها إمارة ، ومحبة الإنسان لنفسه تمنعه أن يرى العيب الخفي عيباً **كما قال الشاعر** :

وعين الرضا عن كل عيب كليلة

ولكن عين السخط تبدى المساويا

وقد روي أن رجلاً صحب رجلاً فلما أراد أن يفارقه ،

قال له : أخبرني عن عيوبي .

فقال : سل غيري ، فإني كنت أراك بعين الرضا .

فإن قيل : فإذا كانت العيوب باطنة ، والإنسان لا يراها عيوباً ، فكيف الطريق إلى تعرفها ، **فالجواب إن لذلك سبع طرق** :

الطريق الأول : أن يتخير صديقاً من أعقل مخالطيه ، ويسأله إبانة ما يرى من قبيحة ويعرفه أن ذلك منة منه عليه ، فإذا أخبره ابتهج بما سمع منه ، ولم يظهر له الحزن على ذلك لئلا يقصر في شرح الأمور ، **ويقول له** : متى كتمتني شيئاً عددتك غاشاً .

والطريق الثاني : أن يبحث عما يقوله فيه جيرانه وإخوانه ومعاملوه ، وبماذا يمدحونه أو يذمونه .

والطريق الثالث : أن يتطلع إلى ما يقول فيه الأعداء ؛ فإن العدو بحاث عن العيوب ، ومن هذا الوجه ينتفع الإنسان بعدوه ما لا ينتفع بصديقه لن العدو يذكر النقص والصديق يستر الخلل ، فإذا عرف الإنسان من طريق عدوه نقصه اجتنبه .

والطريق الرابع : أن يصور أفعاله في غيره ثم يستعمل منها ما يستحسن ويترك ما يستقبح .

والطرق الخامس : أن يعمل فكره في عواقب خلاله وثمراتها فيرى عيب العيب وحسن الحسن ، فإن الفكر الصادق نافذ .

والطريق السادس : أن يعرض أعماله على محك الشرع ويريها نافذ العقل ويضعها في موازين العدل ، فإنه يرى الأرجح والأدون .

والطريق السابع : أن ينظر في سير العاملين ثم يقيس أفعاله بأفعالهم فيرى أن آثار النقص عيب فضلاً عن فعل القبيح .

* * *

الباب السابع عشر

إذا كانت الهمة الدنية طبعاً لم ينجح فيها العلاج ؛ فإن كانت مكتسبة بصحبة الأدنياء أو لغلبة الطبع والهوى فعلاجها قريب ، وذلك من وجوه :

منها مقاطعة أهل الدناءة أنفة منهم ومواصلة أرباب الهمم العالية ، ثم التفكر بالعواقب ، ومآل الدناءة ومصير أولي الجد والاجتهاد ؛ **كما قال عبد الصمد** : مات رجل من السعادة وقد بقي له شرط ، **والناس يقولون له** : مت اليوم تحيا أبداً فانتبهت بها ، ومن تفكر في المرتفعين في الهمم على أنهم كهو من حيث الأصلية والآدمية ، غير أن حب البطالة والراحة جنياً عليه فأوثقاه ، فساروا وهو قاعد ، ولو حرك قدم العزم لوصل ، **قال الشاعر** :

إذا أعجبتك خصال امرئ فكنه تكن مثل ما أعجبك

فليس على الجود والمكرمات إذا جئتها حاجباً يحجبك

ومن نظر في أخبار السلف رأى عموم الفقهاء والعلماء ، وأكثر المشار إليهم بذلك من الموالي ومن الضعفاء وأهل الحرف الدنية ، إلا أن الهمم أثرت فأثرت عن موطن ، ولو تفكر أرباب الهمم الدنية في عواقبها وما يجئ عليهم ، لرأوا

البطالة عدواً . وإنما صحبوا دناءة الهمة تعجلاً للراحة ، وما يلقونه من الحسرات على فوت الفضائل والسقوط من أعين الناس ؛ والإهانة بهم أعظم من كل كرب وشدة .
وما يناله أرباب التعب من الراحة في تعظيم الخلق لهم ، وارتفاع قدرهم في الدنيا قبل الآخرة ، ينسي مرارة كل نصب ، فكأنه ما تعب من استراح ولا استراح من تعب .
بسنده إلى أنس قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ : ((يؤتى بأنعم أهل الدنيا من أهل النار فيصبغ في النار صبغة ثم يقال له: يا ابن آدم هل رأيت خيراً قط ؟
فيقول : لا والله يارب ، ويؤتى بأشد الناس بؤساً في الدنيا من أهل الجنة فيصبغ في الجنة ثم يقال له : يا ابن آدم هل رأيت بؤساً قط ؟ هل مرة بك شدة قط ؟ فيقول : ((لا والله يارب ما مر بي بؤس قط ولا رأيت شدة قط)) . [١]

---

[١] أخرجه أحمد (٣ / ٢٠٣) .

وبيان هذا أن التعب ينقضي وتبقى الراحة ، والراحة تذهب وتبقى الحسرة ، والمقام موسم ، والفوات معترض ، والاستلاب عاجل ، وفي بعض هذا إزعاج للمتواني .

***

الباب الثامن والعشرون
في رياضة النفس

الأصل في الأمزجة الصحة ، والعلل طارئة ، وكل مولود يولد على الفطرة ، ويوضح ما قلناه إن الرياضة لا تصلح إلا في نجيب ، والكودن لا تنفعه الرياضة ، والسبع وإن ربى صغيراً لا يترك الافتراس إذا كبر ، وقد عرفت تلك الحكاية (فمن أنباك أن أباك ذيب) .

واعلم أن في الإنسان قوى ثلاثة : قوة ناطقة ، وقوة شهوانية ، وقوة غضبية ، فينبغي لمن شرفه الله تعالى بحب العلم أن يعتني بتكميل النفس الناطقة التي فضله الله تعالى بها على

سائر الحيوانات وشارك بها الملائكة ، فيجعلها هي المسلطة على القوتين الأخريين .

أعني الشهوانية والغضبية ، لتكون منزلتها في البدن بمنزلة الراكب للفرس ، فإن الفارس ينبغي أن يكون هو المسلط على الفرس لاستعلائه فيمضي بها أين يشاء ويعقها إذا شاء .

فكذلك ينبغي أن تكون القوة الناطقة هي المستعلية على باقي القوى ، تستعملها كما تحب ، وتكفها حين تحب .

ومن كان كذلك استحق أن يسمى إنساناً حقيقة .

قال أفلاطون : الإنسان بالحقيقة من كانت نفسه الناطقة أقوى الأنفس ؛ لأن الشهوانية إذا أفرطت خرج الإنسان إلى طبع البهيمية .

ومن سيب هواه في مرعاه وجعل حبله على غاربه فقد خرج عن مركزه فصار أخس من البهائم ، لأن تلك تمضي بطباعها .

وهذا قد خالف طبعه ، ومتى أفرطت القوة الغضبية بمخالفة الشهوانية ويكسر الغضبية ، ويتبع القوة الناطقة حتى يتشبه بالملائكة ، ويتحرز من عبودية الشهوة والغضب .

***

الباب التاسع عشر
في رياضة النفس

قال ابن القيم : واعلم أن الرياضة للنفس تكون بالتلطف والتنقل من حال إلى حال ، ولا ينبغي أن يؤخذ أولاً بالعنف ولكن بالتلطف ، ثم يمزج الرغبة والرهبة ، ويعين على الرياضة صحبة الأخيار ، والبعد عن الأشرار ، ودراسة القرآن والأخبار ، وإجالة الفكر في الجنة والنار ، ومطالعة سير الحكماء والزهاد . وقد كان بعض السلف يشتهي الحلوى فيعدها لنفسه فإذا صلى بالليل أطعمها . وكان الثوري يأكل ما يشتهي ثم يقوم إلى الصباح .

ويقـول : أطعـم الزنجـي ولـده ، ومـا زال المحققـون يلطفـون بنفوسهم إلى أن ملكوها فقهروها .

وقال بعض جيران مالك بن دينار : سمعته ليلة يقول لنفسه : هكذا فكوني ، فلما أصبحت ، **قلت لـه** : ما معك في الدار أحد ، فلمن قلت ؟

قـال : إن نفسي طلبـت منـي أدمـاً وألحـت فمنعتهـا الطعـام ثلاثة أيام ، فلما كانت الليلة وقد انقضت الأيام وجدت كسرة يابسة فبادرت إليها .

فقلت : قفي آتيك بخبز لين .

فقالت : قنعت بهذه .

قلت : هكذا فكوني .

واعلم أنه إذا علمت منك النفس الجد جدت ، وإذا عرفت منك التكاسل طمعت فيك.

كما قال الشاعر :

ويعرف أخلاق الجواد جواده فيجهده كراً ويرهقه ذعراً

ومن الرياضة لها محاسبتها على كل فعل وقول ، ومحاسبتها في كل تقصير وذنب ، فإذا تمت رياضتها حمدت ما ذمت من تعبها .

قال ثابت البناني : كابدت الليل عشرين سنة وتنعمت به عشرين سنة .

وقال أبو يزيد : مازلت أسوق نفسي إلى الله تعالى وهي تبكي حتى سقتها وهي تضحك ، **وفي هذا المعنى قول الشاعر** :

مازلت أضحك أبكي كلما نظرت إلى أن اختضبت أجفانها بدمي

وبعد هذا فلا ينبغي أن ينسى حقها ، فإن من حقها إعطاءها حظوظها التي لا تقدح في مقصود الرياضة فإنها إذا منعت مقاصدها في الجملة عمي القلب ، وتشتت الهم ، وتكلف

التعبد ، واعلم أن قدر النفس عند الله سبحانه أعظم من قدر العبادات ، ولهذا أباح الفطر للمسافر ، وإنما يعقل هذا العلماء .

* * *

الباب العشرون
في ذكر رياضة الأولاد

أقوم التقويم ما كان في الصغر ، فأما إذا ترك الولد وطبعه فنشأ عليه ومرن كان رده صعباً ، **قال الشاعر :**

إن الغصون إذا قومتها اعتدلت ولا يلين إذا قومته الخشب

قد ينفع الأدب الأحداث في مهل وليس ينفع في ذي الشيبة الأدب ، ثم المواظبة على الرياضة أصل عظيم ، خصوصاً في حق الصبيان ، فإن ذلك يفيدهم أن يصير الخير عادة ، **قال الشاعر :**

لا تسه عن أدب الصغير　　وإن شكا ألم التعب

واعلم أن الطبيب ينظر إلى سن المعالج ومكانه وزمانه ثم يصف ، فكذلك ينبغي أن تكون رياضة كل شخص على قدر حاله ، وإمارة فلاح الصبي وفساده تتبين من طفولته ؛ فالنجيب منهم يتتبه بالتعلم ، والذي ليس بنجيب لا ينفعه التعلم ، كما لا يصير الهجان بالرياضة نجيباً ، وينبغي أن يتلف بالصبي .

قال رجل لسفيان الثوري : نضرب أولادنا على الصلاة ؟

قال : بل بشرهم .

وكان زبيد اليافي يقول للصبيان : من صلى منكم فله خمس جوازات .

وقال إبراهيم بن أدهم : أي بني أطلب الحديث فكلما سمعت حديثاً فلك درهم فطلب الحديث على هذا .

***

الباب الحادي والعشرون

في تعليم الأمانة

وليعلم الوالد أن الولد أمانة عنده ، فليجنبه قرناء السوء من الصغر ، ولا يعوده ، وليلق إليه الخير ، فإن قلبه فارغ يقبل ما يلقى إليه ، وليحبب إليه الحياء والسخاء ، وليلبسه الثياب البيض ، فإن طلب الملون ،

قال له : تلك ملابس النساء والمخانيث ، وليبادر بأخبار الصالحين .

وليجنبه أشعار الغزل لأنها بذر الفساد ، ولا يمنع من أشعار السخاء والشجاعة ليمجد وينجد ، فإن أساء تغافل عن إساءته ، ولا يهتك مؤدبه ما بينه وبينه من الستر ، ولا يوبخ إلا سراً ، ويمنع من كثرة الأكل والنوم .

ويعود الخشونة في المطعم والمفرش فإنه أصح لبدنه ، ويعالج بالرياضيات الجسمانية كالمشي ، ويؤدب بالنهي عن

استدبار الناس والامتخاط بينهم والتثاؤب ، فإذا علقت به خلة قبيحة بولغ في ردعه عنها قبل أن تتمكن ، ولا بأس بضربه إذا لم ينفع اللطف .

فقد قال لقمان لابنه : يا بني ضرب الوالد للولد مثل السماد للزرع .

وإذا رآه عرماً في صغره فليتلطف به ، **فقد قال ابن عباس** : عرامة الصبي زيادة في عقله .

***

الباب الثاني والعشرون
في تعليم الصغار والخادم

وكان الحكماء يقولون : ابنك ريحانتك سلع سنين ، وخادمك سبع سنين ، فإن صار ابن أربع عشرة سنة فإن أحسنت إليه فهو شريكك ، وإن أسأت إليه فهو عدوك ، ولا ينبغي أن يضرب بعد بلوغه ولا أن يساء إليه ، لأنه حينئذٍ يتمنى فقد

الوالد ليستبد برأي نفسه ، ومن بلغ عشرين سنة ولم يصلح فبعيد صلاحه ، إلا أن الرفق متعين بالكل .

***

الباب الثالث والعشرون
في رياضة الزوجة ومداراتها

من المتعين المبالغة في النظر به هذا الباب ، فأصلح الأمور أن يتزوج الرجل البكر التي لم تعرف سواه ، **فقد قالت الحكماء** : البكر لك والثيب عليك ، إلا أنه من أعظم الغلط أن يتزوج الشيخ الكبير طفلة فإنها تصير كالعدو ، ولكنه يحبسها عن أغراضها ولا تقدر أن تفي مرادها ، وهي تنفر عن الشيخ طبعاً ، فإن ابتلى الإنسان بذلك فليسلم بغضه عندها بحسن خلقه واحتماله وكثرة الإنفاق عليها .

وقد أمعنا الشرح لهذه الجملة في كتاب ((الشيب)) وينبغي أن يتزين لها كما يحب أن تتزين له ، ويستر جسده عنها فلا

ترى منه إلا المستحسن ، وكذلك ينبغي لها أن تفعل . ولا ينبغي للرجل أن يمزح مع المرأة فتطمع فيه طمعاً يخرجها عن طاعته ، ولا أن يسلم ماله إليها فيصير هو كالرهن في يدها ، فربما استغنت واستوثقت لنفسها ثم تركته . وقد قال الله تعالى : ﴿وَلا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَاماً وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلاً مَعْرُوفاً﴾(النساء:٥) بل ينبغي أن يمزح بنوع من الهيبة .

***

الباب الرابع والعشرون
في تعليم الزوجة

وأكثر العلاج في إصلاح منعها من محادثة جنسها ، ومن خروجها من بيتها ، وإطلاعها من ذروته ، وأن تكون عنده عجوز تؤدبها وتكون كالحافظ فإن عقل الصبي مأفون .

وإن وجد الشيخ امرأة قد خرجت عن زمان الصبا ولم تدخل

في الكهولة كانت أصلح لعيشه وأقل امتناناً عليه وأكثر توقيراً له .

فأما الشاب فإنه يَذِلُّ ولا يُذَلُّ ، فإذا أراد التمتع بالنساء فالرأي له ، إن كان له مكنة اشترى الجواري الصغار فإنهم لم يعرفن الغيرة وهي قليلة عندهن لموضع الملكة وقدرته على الاستبدال والبيع ، ولتكن معهن حافظة وهي قليلة عندهن لموضع الملكة وقدرته على الاستبدال والبيع ، ولتكن معهن حافظة ، ولتكن على الحافظة حافظة .

من رزق امرأة على مراداته فليهب ما فات لما حصل ، فإن الأصول إذا كانت محفوظة لم تذكر الفروع ، وكثرة النساء تحتاج إلى مؤنات عظام أقلهن حفظهن .

* * *

الباب الخامس والعشرون

في رياضة الأهل والمماليك ومداراتهم

اعلم أن الأهل إذا رأوك قد فقتهم بمال أو جاه حسدوك . ومقاطعتهم محرمة ، فالمداراة لازمة ؛ وذلك بالبر لهم مع كتمان بواطن الأحوال عنهم . ومن أعظم الغلط حرمان بعضهم وإعطاء البعض ، فمن اختار ذلك فليجتهد في أسرار الأمر لئلا يشترى بالمنع البغض . وأما المماليك فإنهم مالكون على الحقيقة لمالكيهم ، لأن المطاعم والمشارب إليهم ، فينبغي أن يتلطف بهم لئلا يحتالوا على القتل .

قال بزر جمهر : نحن ملوك على رعيتنا ، وخدمنا ملوك على أرواحنا ، ولا حيلة لنا في الاحتراز منهم ، فنحن نداريهم. وليجعل الملك مع اللطف بهم هيبة ، إلا أن البر لهم يكون أغلب ، وأكثره في حق من يسلم إليه الروح ، وهو صاحب المطعم والمشرب .

واعلم أن المماليك وإن كانوا أهل ذكاء وفطنة يستتر منك عنهم شئ فربما احتالوا عليك ، وإن كانوا أهل غباوة لم تبلغ غرضاً في استخدامهم لأنك تريد الشيء فلا يفهون مرادك ، والصواب استخدام أهل الغفلة في الدواخل ، وأهل الذكاء منهم خارج البيت ، فحينئذ تتم الأغراض .

ومن أعظم دخول المملوك المراهق إلى البيت ، خصوصاً إن كان حسن الصورة وفي البيت نسوة ، فإن الشر لا يؤمن فإن سلمن من ميل إليه لم يسلم هو من ميل .

وكذلك من باب المخاطرات ترك الولد البالغ بين الجواري ، ومعلوم أن قوة الشهوة وجهل الصبا ينسيان مقدار الحرمة والتحريم ، فهذه أصول ينبغي أن يداوي بدوائها ولا تمهل فإنها تجر أمورا صعبة .

* * *

الباب السادس والعشرون
في معاشرة الناس ومداراتهم

وإذا ابتلى العالم بمخالطة العوام فينبغي أن يلبس جنة الحذر فإن أغراضهم مختلفة ، يرضى أحدهم ما يسخط الآخر ، ويغضب من الصواب ، لأنه يراه خطأ ، ولا يقبل مع جهله أقوال العلماء ، فليبعد العالم عنهم ما استطاع ، فإن مخالطتهم تشينه ، وتنقص من مقداره في أعينهم ، فيهون علمه عندهم ، ولو رآه عاص يضحك ، أو يأكل ، أو سمع أنه قد تزوج ، لم يبق له عنده قدر ، فالحذر الحذر منهم ،ة فإنهم قتلة الأنبياء ، فإذا اضطر إلى مجالستهم فليقلل الكلام معهم ، وليتكلم بما لا تسلق لهم به عليه ، ولا فيه احتمال لما لا يصلح لخطابهم ، وبعد هذا فالسلامة منهم طريفة .

* * *

الباب السابع والعشرون

في التربية

علامة الكامل تربية القدرة له من الطفولة ، وإعطاؤه الرأي التام ، والعقل الوافر من الصغر ، كما قال تعالى : { وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ }[الأنبياء :٥١]، وتخلق له همة عالية وشرف ونفس ، فتحمله على طلب المعالي ، وتمكنه ركوب الدنايا ، فتراه في لعب يحب أن يكون رئيس الصبيان ، فإذا ترعرع كان الأدب شعاره من غير تعلم ، والحياء لباسه من غير ترهيب ، وأقل الرياضة فيه يؤثر ، كما ينفع المسن الفولاذ ولا ينفع الحديد ، فإذا عقل واستدل على صانعه .

وعلم لماذا خلق ، ونظر بماذا خوطب ، وإلى أين يصير ، وما المراد منه ، شمر عن ساق وساق ، فيطلعه العلم على حقائق الأمور ، فيرى أن أفضل الأشياء ما يقربه من خالقه ،

ثم يرى أن أقرب ما يقرب به العلم والعمل ، فيجتهد في إكمالها على غاية ما يطيق منهما بدنه ، وينهض النية والعزيمة بحمل الباقي .

وأنت ترى خلقاً يقتصرون على بعض فنون العلم ؛ فهذا مع النحو جميع عمره ، وهذا مع الحديث طول دهره ، وهو يرى أن كل العلوم مقصود ، غير أنه لما علم أن العمر لا يسع الكل أخذ ما يحتاج إليه من الكل زاداً لمسيره .

ونهض للعمل بمقتضاه ، فتراه ينتهب العمر خوف أن يذهب وما نال المراد ، ولا يضيع لحظة في غير مهم ، وينافس نفسه في زمان المطعم والنوم ، لعلمه بقصر المدة كما قال الشاعر :

فاقضوا مآربكم عجالاً إنما ... أعماركم سفر من الأسفار

وتراكضوا خيل السباق وبادروا ... أن تسترد فإنهم عواري

فهو أبداً يجتهد في عمارة وقته ، ويقهر هواه لإصلاح أمره ، ويقطع من العلم مهمه ، فقلبه عن اللهو بتصحيح قصده .

وجوارحه مقبلة بالجد على طاعة ربه ، وقد امتنع بما رزقه الله عن منن خلقه ، وعف عن أموالهم حفظاً لعرضه ، فسادهم لغناه عنهم ، وأزال فسادهم بوعظه ، فإن عاملهم فبالإنصاف ، لم يأخذ عليهم بفضله ، وإن استشاره اجتهد في نصحهم . على أنه مشغول عن الكل بنفسه ، متأهب للنقلة ، همه جمع رحله يؤدي إلى كل لحظة فرضها من الحراسة بقوى لربه ويستظهر بكثرة الزاد لعلمه طول شوطه ، ثم يجتهد في تهذيب العلم في حياته ليحيي به أثره بعد موته .

وقد زهد في الدنيا ، ولا يتناول إلا قوت وقته ، فإن فسح لنفسه في مباح ، فمراده تقوية جمله على حمله ، ثم لم يزل به عرفان خالقه حتى دعاه إلى حبه ، فانصب الصب وانخرط في سلكه ، فهو بين الخلق بجسمه .

وعنـد الخـالق بقلبـه ، أولئك ريحـان الله فـي أرضـه ، نفـوس أنفاس المريدين باستنشاق ريح أحدهم ويلفظه ، ويفوح نشر صدقهم بعد دفن راجلهم في لحده .

قد ألبست قبورهم هيبة تخبر عن كل بقدره ، وإذا ذكرت أعمالهم يقوى بها المريد في طريق صبره ، والمتقون في فلك القيامة نجوم .

وهم كشمسه أو كبدره ، رزقنا الله وفاتهم ، ووهب لنا لحاقهم وألبسنا أخلاقهم بسعة فضله ، إنه سميع قريب من عبده.

* * *

الباب الأخير

أول من يدخل الجنة

((آتِي باب الجنة فأستَفْتِح، فيقول الخازنُ: مَن أنت؟ فأقول: محمدٌ. فيقول: بك أُمرتُ أن لا أفتح لأحد قبلك)) أخرجه أحمد ، وعبد بن حميد ، ومسلم عن أنس.[1]

آخر سورة نزلت من القرآن

((آخر سورة نزلت كاملة براءة)) أخرجه النسائي عن البراء موقوفاً.[2]

---

[1] أخرجه أحمد (٣/١٣٦ ، رقم ١٢٤٢٠) ، وعبد بن حميد (ص ٣٧٩ ، رقم ١٢٧١) ، ومسلم (١/١٨٨ ، رقم ١٩٧) . وابن منده في الإيمان (٢/٨٣٨ ، رقم ٨٦٧) .

[2] أخرجه النسائي في الكبرى (٦/٣٥٣ ، رقم ١١٢١٢) ، وأحمد (٤/٢٩٨ ، رقم ١٨٦٦١) ، وابن أبى شيبة (٦/١٤٧ ، رقم ٣٠٢١٣) ، والبخاري (٤/١٥٨٦ ، رقم ٤١٠٦) .

آخر من يدخل الجنة

((آخر من يدخل الجنة رجل يمشى على الصراط فهو يمشى مرة ويَكْبُو مرة، وتَسْفَعُه النار مرة، فإذا جاوزها التفتَ إليها، فقال: تبارك الذي نجانى منك لقد أعطاني الله شيئًا ما أعطاه أحدًا من الأولين والآخرين، فتُرفع له شجرةٌ، فيقول: أي رب أَدْنِنِى من هذه الشجرة فلأستظل بظلها وأشرب من مائها، فيقول الله: يا ابن آدم لَعَلّى إن أَعْطَيْتُكَهَا سألتنى غيرها، فيقول: لا يا رب ويعاهده أن لا يسأله غيرها ورَبُّه يَعْذِرُهُ؛ لأنه يرى ما لا صَبْرَ له عليه فيُدْنِيه منها فيستظل بظلها ويشرب من مائها ثم تُرفع له شجرةٌ أخرى هي أحسن من الأولى، فيقول: أي رب أَدْنِنِى من هذه لأشرب من مائها وأستظل بظلها لا أسألك غيرها، فيقول: يا ابن آدم ألم تعاهدنى أن لا تسألنى غيرها، فيقول: لعلى إن أدنيتك منها تسألنى غيرها فيعاهده أن لا يسأله غيرها ورَبُّه يَعْذِرُه؛ لأنه يرى ما لا صبر

له عليه فيدنيه منها فيستظل بظلها ويشرب من مائها ثم تُرفع له شجرةٌ عند باب الجنة هي أحسن من الأوليين، فيقول: أي رب أدنني من هذه فلأستظل بظلها وأشرب من مائها لا أسألك غيرها فيقول يا ابن آدم ألم تعاهدنى أن لا تسألني غيرها. قال: بلى يا رب أدنني من هذه لا أسألك غيرها وربُّه يَعْذِرُهُ؛ لأنه يرى ما لا صبر له عليه فيُدنيه منها، فإذا أدناه منها سمع أصوات أهل الجنة، فيقول: أي رب أدخلنيها، فيقول: يا ابن آدم ما يَصْرِينِى منك أَيُرْضيك أن أُعطيك الدنيا ومثلها معها، فيقول: أي رب أتستهزئ منى وأنت رب العالمين، فيقول: إني لا أستهزئ منك ولكنى على ما أشاء قادر)). أخرجه أحمد ، ومسلم ، والطبراني ، والبيهقى في البعث عن ابن مسعود. [1]

---

[1] أخرجه أحمد (١/٣٩١ ، رقم ٣٧١٤) ، ومسلم (١/١٧٤ ، رقم ١٨٧) ، والطبراني (١٠/٩ ، رقم ٩٧٧٥) ، والبيهقى في البعث (ص

آكل الربا

((آكِلُ الربا ومُوكِلُه وكاتبه وشاهداه إذا علموا ذلك، والواشمة والمَوْشُوَمة للحُسْن ولاَوِى الصدقة والمرتد أعرابيًّا بعد الهجرة ملعونون على لسان محمد يوم القيامة)). أخرجه النسائي ، والبيهقى في شعب الإيمان عن ابن مسعود. [1]

---

١٠١ ، رقم ٩٦) .

وللحديث أطراف أخرى منها : "إن آخر من يدخل الجنة" .

ومن غريب الحديث : "ما يصريني منك" : ما يقطع مسألتك ويمنعك من سؤالي .

[1] أخرجه النسائي (١٤٧/٨ ، رقم ٥١٠٢) ، والبيهقى في شعب الإيمان (٣٩١/٤ ، رقم ٥٥٠٧) ، والطيالسى (ص ٥٣ ، رقم ٤٠١) ، وأحمد (٤٣٠/١ ، رقم ٤٠٩٠) ، وابن خزيمة (٨/٤ ، رقم ٢٢٥٠) . (٢٧٩/٢ ، رقم ١٣٣٨) ، والشاشى (٢٨٠/٢ ، رقم ٨٥٤) ، والحاكم (٥٤٥/١ ، رقم ١٤٣٠) ، وقال : صحيح على شرط مسلم . والبيهقى (١٩/٩ ، رقم ١٧٥٦٩) .

آمرك بسبع

((آمرك بسبع: بحب المساكين والدنو منهم، وأن تنظر إلى مَنْ هو دونك ولا تنظر إلى مَنْ هو فوقك، وأن تصل الرحم وإن أَدْبَرَتْ، وأن لا تسأل أحدًا شيئًا، وأن تقول الحق وإن كان مرًّا، وأن لا تأخذك في الله لومة لائم، وأن تكثر من قول لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم فإنهن كنز تحت العرش)) أخرجه أحمد عن أبى ذر بإسنادين رجال أحدهما ثقات .[١]

ومن غريب الحديث : "مُوكِلُه" : بدون همزة وقد يهمز فيقال "مؤكله" ، أي : معطيه لمن يأخذه ، "لاوى الصدقة" : المماطل فيها ، أو المانع الجاحد لها .

[١] أخرجه أحمد (٥/١٥٩ ، رقم ٢١٤٥٣) ، (٥/١٧٣ ، رقم ٢١٥٥٦) عن أبى ذر قال : "أمرنى خليلى عليه السلام بسبع أمرنى بحب المساكين ..." الحديث . وأخرجه الطبراني في الكبير (٢/١٥٦ ، رقم ١٦٤٨) ، وفى الأوسط (٦/٨ ، رقم ٥٦٣٩) فذكر نحوه . قال الهيثمى (١٠/٢٦٣) : أحد إسنادي أحمد ثقات .

آمرك بأربع

((آمُرُكُمْ بأربع وأنهاكم عن أربع: آمركم بالإيمان بالله وحده، أتدرون ما الإيمان بالله؟ شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصيام رمضان، وأن تؤدوا لله خُمس ما غنمتم. وأنهاكم عن الدُّبَّاء والنَّقِير والحَنْتَم والمُزَفَّت، احفظوهن وأخبروا بهن مَن وراءكم)) أخرجه الطيالسى ، والبخاري ، ومسلم ، وأبو داود ، والترمذي ، والنسائي عن ابن عباس .[1]

وللحديث أطراف أخرى منها : "أوصانى خليلى" .

[1] أخرجه الطيالسى (ص ٣٥٩ ، رقم ٢٧٤٧) ، والبخارى (١/١٩٥ ، رقم ٥٠٠) ، ومسلم (١/٤٦ ، رقم ١٧) ، وأبو داود (٣/٣٣٠ ، رقم ٣٦٩٢) ، والترمذي (٥/٨ ، رقم ٢٦١١) وقال : صحيح حسن . والنسائي (٨/١٢٠ ، رقم ٥٠٣١) ، وابن خزيمة (١/١٥٨ ، رقم ٣٠٧) ، وابن حبان (١٦/٢٨٤ ، رقم ٧٢٩٥) .

((آمُرُكُمْ بأربع وأنهاكم عن أربع: اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئًا، وأقيموا الصلاة، وآتوا الزكاة، وصوموا رمضان، وأعطوا الخُمُس من الغنائم. وأنهاكم عن أربع: عن الدُّبَّاء، والحَنْتَم، والمُزَفَّت، والنَّقِير. أخرجه أحمد ، ومسلم ، وابن حبان عن أبي سعيد.[1]

* * *

آمروا النساء

ومن غريب الحديث : "الدباء" : القرع كانوا ينتبذون فيه . "النقير" : أصل النخلة ينقر وسطه ثم ينتبذ فيه . "الحنتم" : جرار مدهونة خضر تسرع الشدة فيها لأجل دهنها . "المزفت" : الإناء المطلى بالزفت .

[1] أخرجه أحمد (٢٢/٣ ، رقم ١١١٩١) ، ومسلم (٤٨/١ ، رقم ١٨) ، وابن حبان (٤٠٥/١٠ ، رقم ٤٥٤١) .

((آمِرُوا النساء في أنفسهن، فإن الثيب تُعْرِب عن نفسها، والبكر رضاها صَمْتُها)) أخرجه الطبراني ، والبيهقى ، وابن عساكر عن العُرْس بن عَمِيرة.[1]

***

عند السفر

((آيبون تائبون عابدون لربنا حامدون، اللهم إني أعوذ بك من وَعْثَاءِ السفر وكآبة المُنْقَلَب، وسوء المنظر في الأهل والمال)) أخرجه أحمد ، والبخاري ، ومسلم ، والنسائي عن أنس .[2]

---

[1] أخرجه الطبراني (١٣٨/١٧ ، رقم ٣٤٢) ، قال الهيثمى (٢٧٩/٤) : رجاله ثقات . والبيهقى (١٢٣/٧ ، رقم ١٣٤٨٣) .

ومن غريب الحديث : "تُعْرِب" : تبين وتوضح عن نفسها .

[2] أخرجه أحمد (١٨٧/٣ ، رقم ١٢٩٧٠) ، والبخاري (٢٢٨٧/٥ ، رقم ٥٨٣١) ، ومسلم (٩٨٠/٢ ، رقم ١٣٤٥) ، والنسائي في الكبرى (٤٧٨/٢ ، رقم ٤٢٤٧) .

حب الأنصار

((آيةُ الإيمانِ حبُّ الأنصار، وآية النفاق بُغْضُ الأنصار))
أخرجه أحمد ، والبخاري ، ومسلم ، والنسائي عن أنس.[1]

***

آية المنافق

((آية المنافق ثلاثة وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتُمِنَ خان)) أخرجه أحمد ، والبخاري ، ومسلم ، والترمذي ، والنسائي عن أبى هريرة.[2]

ومن غريب الحديث : "آيبون" : راجعون . "وَعْثَاءِ السَّفَرِ" : شِدَّتِه ومَشَقَّتِه . "وكآبة المنقلب" : يعنى أن ينقلب من سفره إلى منزله بأمر يكتئب منه .

(1) أخرجه الإمام أحمد (٣/١٣٠ ، رقم ١٢٣٣٨) ، والبخاري (١/١٤ ، رقم ١٧) ، ومسلم (١/٨٥ ، رقم ٧٤) ، والنسائي (٨/١١٦ ، رقم ٥٠١٩) .

ائت حرثك

((ائْتِ حَرْثَكَ أَنَّى شئتَ، وأَطعمها إذا طَعِمْتَ، وَاكْسُهَا إِذا اكْتَسَيْتَ، ولا تُقَبِّحِ الوجه ولا تضرب)) أخرجه أبو داود عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده.[٢]

---

[١] أخرجه أحمد (٢/٣٥٧ ، رقم ٨٦٧٠) ، والبخارى (١/٢١ ، رقم ٣٣) ، ومسلم (١/٧٨ ، رقم ٥٩) ، والترمذي (٥/١٩ ، رقم ٢٦٣١) ، وقال : حسن غريب ، والنسائي (٨/١١٦ ، رقم ٥٠٢١) .
وللحديث أطراف أخرى منها : "ثلاث من كن فيه" .

[٢] أخرجه أبو داود (٢/٢٤٥ ، رقم ٢١٤٣) ، والحاكم (٢/٢٠٤ ، ٢٧٦٤) ، والبيهقى (٧/٤٦٦ ، رقم ١٥٤٧١) قال الحافظ في تغليق التعليق (٤/٤٣١) : إسناده حسن .
وللحديث أطراف أخرى منها : "حرثك فأت حرثك أنى شئت" ، "ائتها على كل حال" .

صوم يوم عاشوراء

((ائتِ قومَك فأمرهم أن يصوموا هذا اليوم، قال: ما أرانى إلا أنهم قد طَعِمُوا. قال: من طَعِمَ منهم فَلْيَصُمْ بقية يومه)) أخرجه الطبراني في الكبير ، والأوسط عن أسماء بن حارثة قال : بعثني يوم عاشوراء ، فذكره.[1]

***

تلبية الدعوة

ومن غريب الحديث : "حرثك" : زوجك ، أو مملوكتك ، وسماها حرثا ؛ لأنها موضع زراعة الأولاد . "أنى شئت" : كيف شئت من قيام ، أو قعود ، أو اضطجاع ، أي : هيئة كانت فهي مباحة لك مفوضة إليك .

[1] أخرجه الطبراني في الكبير (١/٢٩٦ ، رقم ٨٦٩) ، وفى الأوسط (٣/٨٤ ، رقم ٢٥٦٧) ، قال الهيثمى (٣/١٨٥) : رجاله رجال الصحيح .

((ائْتُوا الدعوة إذا دُعِيتُمْ)) أخرجه مسلم ، والترمذي ، وابن حبان عن ابن عمر.[1]

فضل المسجد الأقصى

((ائْتُوهُ فَصَلُّوا فيه فإن لم تَأْتُوهُ وَتُصَلُّوا فيه فابعثوا بزيت يُسْرَجُ في قناديله)) أخرجه أحمد ، وأبو داود عن ميمونة مولاة النبي صلى الله عليه وسلم أنها قالت: يا رسول الله أَفْتِنَا في بيت المقدس قال ... فذكره. [2]

---

[1] أخرجه مسلم (٢/١٠٥٣ ، رقم ١٤٢٩) ، والترمذي (٣/٤٠٤ ، رقم ١٠٩٨) ، وقال : حسن صحيح . وابن حبان (١٢/١٠٠ ، رقم ٥٢٨٩) .

والحديث أصله عند البخاري بطرف : "أجيبوا الدعوة" .

[2] أخرجه أحمد (٦/٤٦٣ ، رقم ٢٧٦٦٧) ، وأبو داود (١/١٢٥ ، رقم ٤٥٧) ، وأبو يعلى (١٢/٥٢٣ ، رقم ٧٠٨٨) ، قال الهيثمى (٤/٧) : رجاله ثقات . وابن أبى عاصم في الآحاد والمثانى (٦/٢١٦ ، رقم ٣٤٤٨) ، والطبراني في الكبير (٢٥/٣٢ ، رقم ٥٤ ، ٥٥) ، وفى

* * *

صلاة النساء في المساجد

((ائذنوا للنساء أن يُصَلِّين بالليل فى المسجد)) أخرجه الطيالسى عن ابن عمر.[1]

((ائذنوا للنساء بالليل إلى المساجد)) أخرجه أحمد ، ومسلم ، والترمذي ، وأبو داود ، وابن حبان عن ابن عمر.[2]

الأوسط (٢١٧/٨ ، رقم ٨٤٤٥) ، وفى شعب الإيمان (٤٩٥/٣ ، رقم ٤١٧٦) .

وللحديث أطراف أخرى منها : "بيت المقدس" .

[1] أخرجه الطيالسى (ص ٢٥٧ ، رقم ١٨٩٢) .

[2] أخرجه أحمد (٤٩/٢ ، رقم ٥١٠١) ، ومسلم (٣٢٧/١ ، رقم ٤٤٢) ، والترمذي (٤٥٩/٢ ، رقم ٥٧٠) ، وقال : حسن صحيح . وأبو داود (١٥٥/١ ، رقم ٥٦٨) ، وابن حبان في "صحيحه" (٥٨٧/٥ ، رقم ٢٢١٠) .

* * *

مبايعة النساء

((أُبَايِعُكُمْ على أن لا تُشرِكوا بِاللَّهِ شيئًا ولا تسرِقوا ولا تَزْنُوا ولا تَقْتُلُوا أولادَكم ، ولا تأتوا بِبُهْتَانٍ تَفْتَرُونَهُ بين أيديكم وأرجلِكم، ولا تَعْصُونِى في معروف، فمَن وَفَى منكم فأجْرُه على اللَّه، ومَنْ أصاب من ذلك شيئًا فَأُخِذَ به في الدنيا فهو له كفارة وطَهُور، ومن ستره اللَّهُ فذلك إلى اللَّه إن شاء عذَّبَهُ وإن شاء غفر له)) أخرجه أحمد ، والبخاري ، ومسلم ، والترمذي ، والنسائي عن عبادة بن الصامت.[1]

وللحديث أطراف أخرى منها : "لا تمنعوا إماء الله مساجد الله" ، "لا تمنعوا نساءكم المساجد" .

[1] أخرجه أحمد (٥/٣٢٠ ، رقم ٢٢٧٨٥) ، والبخاري (٦/٢٤٩٤ ، رقم ٦٤١٦) ، ومسلم (٣/١٣٣٣ ، رقم ١٧٠٩) ، والترمذي (٤/٤٥ ، رقم ١٤٣٩) وقال : حسن صحيح . والنسائي (٧/١٤٨ رقم ٤١٧٨) .

* * *

ابدأ بنفسك

((ابْدَأْ بِنَفْسِكَ فَتَصَدَّقْ عليها ثم على أبويك ثم على قرابتك ثم هكذا ثم هكذا)) أخرجه البخاري ، ومسلم ، وابن حبان عن جابر.[1]

((ابْدَأْ بِنَفْسِكَ فَتَصَدَّقْ عليها فإن فَضَلَ شيء فلأهلك، فإن فَضَلَ عن أهلك شيء فلذي قرابتك، فإن فضل عن ذي قرابتك شيء فهكذا وهكذا)) أخرجه النسائي عن جابر.[2]

ومن غريب الحديث : "وَلاَ تَأْتُوا بِبُهْتَانٍ تَفْتَرُونَهُ" لا تأتوا بولد من غيركم فتنسبوه إلى أنفسكم فإن ذلك بُهتانٌ وفِرْية .

[1] الحديث فيه قصة ذكرها البخاري دون المتن (٧٥٣/٢ ، رقم ٢٠٣٤) ، ومسلم (٦٩٢/٢ ، رقم ٩٩٧) ، وابن حبان (١٢٨/٨ ، رقم ٣٣٣٩) .

[2] أخرجه النسائي (٦٩/٥ ، رقم ٢٥٤٦) ، والشافعي (٣٢٧/١) ، ومسلم (٦٩٢/٢ ، رقم ٩٩٧) .

***

غسل المرأة

((ابدأنَ بميامينها ومواضع الوضوء منها)) أخرجه أحمد ، والبخاري ، ومسلم ، وأبو داود ، والترمذي ، والنسائي عن أم عطية أن النبي عليه السلام في غسل ابنته ... فذكره. [١]

***

الإبراد بالصلاة

((أَبْرِدْ أَبْرِدْ فإنَّ شدةَ الحرِّ من فَيْحِ جَهنَّمَ)) أخرجه أبو داود ، وأحمد ، والبخاري ، ومسلم ، وابن خزيمة ، وابن حبان عن أبى ذر . [١]

---

[١] أخرجه أحمد (٤٠٨/٦ ، رقم ٢٧٣٤٣) ، والبخاري (٧٣/١ ، رقم ١٦٥) ، ومسلم (٦٤٨/٢ ، رقم ٩٣٩) ، وأبو داود (١٩٧/٣ ، رقم ٣١٤٥) ، والترمذي (٣١٥/٣ ، رقم ٩٩٠) وقال : حسن صحيح ، والنسائي (٣٠/٤ ، رقم ١٨٨٤) .

((أبردوا بالصلاة فإن شدة الحر من فيح جهنم)) أخرجه أحمد ، وابن ماجه ، وابن حبان ، والطبراني ، والبيهقى عن المغيرة بن شعبة .[٢]

---

[١] أخرجه أبو داود (١/١١٠ ، رقم ٤٠١) . وأخرجه أيضاً : أحمد (١٧٦/٥ ، رقم ٢١٥٧٣) ، والبخاري (١/١٩٩ ، رقم ٥١١) ، ومسلم (٤٣١/١ ، رقم ٦١٦) ، وابن خزيمة (١/١٦٩ ، رقم ٣٢٨) ، وابن حبان (٣٧٦/٤ ، رقم ١٥٠٩) ،

وللحديث أطراف أخرى منها : "أبردوا بالصلاة" ، "أبردوا بالظهر" ، "إذا اشتد الحر فأبردوا" .

[٢] أخرجه أحمد (٢٥٠/٤ ، رقم ١٨٢١٠) ، وابن ماجه (١/٢٢٣ ، رقم ٦٨٠) ، قال البوصيرى (١/٨٧) : هذا إسناد صحيح ، ورجاله ثقات . وابن حبان (٣٧٢/٤ ، رقم ١٥٠٥) ، والطبراني (٢٠/٤٠٠ ، رقم ٩٤٩) ، والبيهقى (١/٤٣٩ ، رقم ١٩٠٧) .

((أَبْرِدُوا بالظهر فإن شِدَّةَ الْحَرِّ من فَيْحِ جَهَنَّمَ)) أخرجه ابن أبى شيبة ، وأحمد ، والبخاري ، وابن ماجه عن أبى سعيد [١].

مقتل عمار

((أبشر عمّار تقتلك الفئة الباغية)) أخرجه الترمذي – حسن صحيح غريب – عن أبى هريرة . [١]

---

[١] أخرجه ابن أبى شيبة (٢٨٦/١ ، رقم ٣٢٨٠) ، وأحمد (٥٢/٣ ، رقم ١١٥٠٨) ، والبخاري (١٩٩/١ ، رقم ٥١٣) ، وابن ماجه (٢٢٣/١ ، رقم ٦٧٩) .

قال الحسينى في البيان والتعريف (١٤/١) : قال السيوطي : حديث متواتر رواه بضعة عشر صحابيا .

وللحديث أطراف أخرى منها : "إذا اشتد الحر" ، "إن شدة الحر" .

ومن غريب الحديث : "أبردوا بالظهر" : انتظروا الدُّخول في وقت انْكِسار الحرّ . و"فيح جهنم" : هيجانها وغليانها وانتشار لهبها .

الحمى ابتلاء من الله

((أَبْشِرْ فإن الله يقول : الحمى هي ناري أُسَلِّطُهَا على عبدي المؤمن في الدُّنْيَا لِتَكُونَ حَظَّهُ من النار يوم القيامة)) أخرجه أحمد ، وهناد ، وابن ماجه ، وابن السني في عمل يوم وليلة ، والحاكم ، عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عاد رجلا به حمى قال فذكره.[٢]

---

[١] أخرجه الترمذي (٦٦٩/٥ ، رقم ٣٨٠٠) وقال : حسن صحيح غريب .

وللحديث أطراف أخرى منها : "بؤسًا لك يا ابن سمية" ، "تقتلك الفئة الباغية" ، "ويحك يا ابن سمية" .

ومن غريب الحديث : "الفئة الباغية" : الظالمة الخارجة عن طاعة الإمام .

[٢] أخرجه أحمد (٤٤٠/٢ ، رقم ٩٦٧٤) ، وهناد (٢٣٣/١ ، رقم ٣٩١) ، وابن ماجه (١١٤٩/٢ ، رقم ٣٤٧٠) ، قال البوصيرى (٦١/٤) : هذا إسناد صحيح رجاله موثقون . وابن السني (ص ٢٠٢ ،

***

المهدي رجل من قريش

((أَبْشِرُوا بالمَهْدِى رجل من قريش من عِثْرتى يخرج في اختلاف من الناس وزلزال فيملأ الأَرْضَ قِسطًا وَعَدْلاً كَمَا مُلِئَتْ ظُلْمًا وَجَوْرًا،

ويرضى عنه ساكن السماء وساكن الأرض، ويقسم المال صِحاحاً بالسوية، ويملأ قلوب أمة محمد غنى ويسعهم عدله حتى إنه يأمر منادياً.

فينادى من له حاجة إليَّ فما يأتيه أحد إلا رجل واحد يأتيه فيسأله، فيقول: ائت السادن حتى يعطيك فيأتيه، فيقول: أنا رسول المهدي إليك لتعطينى مالاً،

رقم ٥٤٦) ، والحاكم (١/٤٩٦ ، رقم ١٢٧٧) وقال : صحيح الإسناد ، ووافقه الذهبي .

ومن غريب الحديث : "حظه من النار" : نصيبه منها .

فيقول: احثُ فيحثى ولا يستطيع أن يحمله فيلقى حتى يكون قدر ما يستطيع أن يحمله فيخرج به فيندم، فيقول: أنا كنت أجْشَع أمة محمد نفسًا كلهم دعي إلى هذا المال فتركه غيري فيرد عليه، فيقول: إنا لا نقبل شيئاً أعطيناه فيلبث في ذلك ستاً أو سبعاً أو ثمانياً أو تسع سنين ولا خير في الحياة بعدُ)) أخرجه أحمد عن أبى سعيد .[1]

---

[1] أخرجه أحمد (٣/٣٧ ، رقم ١١٣٤٤) ، قال الهيثمى (٧/٣١٤) : رجاله ثقات .

وللحديث أطراف أخرى منها : "إن في أمتي المهدي" ، "يخرج في آخر أمتي" .

من غريب الحديث : "عِتْرتى" : عِتْرةُ النبي عليه السلام بَنُو عَبْد المُطّلب ، وقِيل أهلُ بيتِه الأقْرَبُون وهم أوْلادُه وعليٌّ وأوْلادُه ، وقيل عِتْرته الأقْرَبُون والأبْعدُون منهم . "السادن" : هو خادم الكعبة وبيت الأصنام ، والجمع السدنة ، والفرق بين السادن والحاجب : أن الحاجب يحجب وإذنه لغيره ، والسادن يحجب وإذنه لنفسه .

***

أجناد الأرض ثلاثة

((أَبْشِرُوا فوالله لأنا لكثرة الشيء أخوف منى عليكم من قِلَّتِه، والله لا يزال هذا الأمر فيكم حتى يفتح الله لكم أرض فارس وأرض الروم وأرض حمير، وحتى تكونوا أجناداً ثلاثة: جُنْد بالشام، وجند بالعراق، وجند باليمن، وحتى يعطى الرجل المائة فيتسخطها. قيل: ومن يستطيع الشام مع الروم ذوات القرون، فقال: والله ليفتحنها الله لكم ويستخلفكم فيها حتى تظل العصابة منهم البيضُ قميصُهم المحلقةُ أقفاؤُهم قياماً على الرُوَيْجِل الأسود منكم ما أَمَرَهُم من شيء فعلوه، وإن بها اليوم رجالاً لأنتم أصغر في عيونهم من القِرْدان في أعجاز الإبل)) قال عبد الله بن حوالة: اختر لي يا رسول الله إن أدركني ذلك، قال: ((إنى أختار لك الشام فإنها صفوة الله من

بلاده، وإليها يجتبى صفوته من عباده. يا أهل اليمن فعليكم بالشام فإن صفوةَ الله من الأرض الشامُ، فمن أبى فليسق بغُدُر اليمن فإن الله تكفل لي بالشام وأهله)) أخرجه الطبراني ، والبيهقى عن عبد الله بن حوالة. [1]

---

[1] أخرجه الطبراني كما في مجمع الزوائد (٢١٢/٦) قال الهيثمى : رواه الطبراني بإسنادين ، رجال أحدهما رجال الصحيح ، غير نصر بن علقمة ، وهو ثقة . والبيهقى (١٧٩/٩ رقم ١٨٣٩٠) ، وابن أبى عاصم في الآحاد (٢٧٤/٤ ، رقم ٢٢٩٥) ، والضياء (٢٧٧/٩ ، رقم ٢٤٠ ، ٢٤١) .

ومن غريب الحديث : "الرويجل" : تصغير تحقير من الرجل ، والمراد : أن الروم يصبحون خدما للعبد الأسود الذي كان من شأن الروم قبل الإسلام أن يحتقرونه . "القِرْدانِ" : مفردها القُراد ، وهى : حشرة تَعَضُّ الإبل . "فليسق" : المراد أن يسقى ماشيته من مياه اليمن ، ويشتغل بها ، ويدع الجهاد . "بغُدُر" : جمع غدير ، وهو الحوض . "تكفل لي

* * *

ما الفقر أخشى عليكم

((أَبْشِرُوا وَأَمِّلُوا خيرًا فوالله ما الْفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ، ولكن إذا صبت عليكم الدنيا صبًّا فَتَنَافَسُوهَا كما تنافسها من كان قبلكم)) أخرجه أحمد عن الْمِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ.[1]

* * *

من شهد أن لا إله إلا الله دخل الجنة

بالشام وأهله" : ضمن لي حفظها ، وحفظ أهلها القائمين بأمر الله فلا تصيبهم الفتنة .

[1] أخرجه أحمد (٣٢٧/٤ ، رقم ١٨٩٣٦) . قال الهيثمى (١٢١/٣) : رجاله رجال الصحيح .

وللحديث أطراف أخرى منها : "أظنكم قد سمعتم" .

((أَبْشِرُوا وبشّروا مَن وراءكم أنه من شهد أن لا إله إلا الله صادقاً بها دخل الجنة)) أخرجه أحمد ، والطبراني عن أبى موسى .[1]

***

آل عمار في الجنة

((أَبْشِرُوا يا آل عمار فإن موعدكم الجنة)) أخرجه الطبراني في الأوسط ، والبيهقى ، والحاكم ، وابن عساكر عن أبى الزبير عن جابر .[2]

***

---

[1] أخرجه أحمد (٤٠٢/٤ ، رقم ١٩٦١٢) ، والطبراني في مجمع الزوائد (١٦/١) قال الهيثمى : رجاله ثقات .

[2] أخرجه الطبراني في الأوسط (١٤١/٢ ، رقم ١٥٠٨) ، قال الهيثمى (٢٩٣/٩) : رجاله رجال الصحيح ، غير إبراهيم بن عبد العزيز المقوم ، وهو ثقة .

يُبَاهِى بكم الملائكة

((أَبْشِرُوا يا معشر المسلمين، أَبْشِرُوا هذا ربكم قد فتح عليكم باباً من أبواب السماء يُبَاهِى بكم الملائكة، يقول: انظروا إلى عبادي قد قَضَوْا فَرِيضَةً وهم ينتظرون أخرى)) أخرجه أحمد ، وابن ماجه ، والطبراني ، وأبو نعيم عن ابن عمرو.[1]

فقراء المهاجرين يدخلون الجنة قبل الأغنياء

((أَبْشِرُوا يا مَعْشَرَ صَعَالِيكِ المهاجرين بِالنُّورِ التَّامِّ يوم القيامة، تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ قَبْلَ أغنياء الناس بنصف يوم وذلك

---

[1] أخرجه أحمد (١٨٦/٢ ، رقم ٦٧٥٠) ، وابن ماجه (٢٦٢/١ ، رقم ٨٠١) ، قال البوصيرى (١٠٢/١) : هذا إسناد رجاله ثقات . وأبو نعيم في الحلية (٥٤/٦) .

خَمْسُمِائَةِ سَنَةٍ)) أخرجه أحمد ، وأبو داود ، وأبو يعلى ، والبيهقى في الدلائل عن أبى سعيد.[1]

***

براءة عائشة

((أبشرى يا عائشة أمَّا الله فقد بَرَّأكِ)) أخرجه البخاري ، ومسلم عن عائشة.[1]

---

[1] أخرجه أحمد (٣/٦٣ ، رقم ١١٦٢٢) ، وأبو داود (٣/٣٢٣ ، رقم ٣٦٦٦) ، وأبو يعلى (٢/٣٨٢ ، رقم ١١٥١) ، والبيهقى في الدلائل (١/٣٥٢) .

وللحديث أطراف أخرى منها : "إن فقراء المهاجرين" ، "فقراء المهاجرين يدخلون الجنة" .

ومن غريب الحديث : "صعاليك" : مفردها صعلوك ، وهو الفقير الذي لا مال له ، ولا اعتماد ، ولا احتمال .

***

أبغض الرجال

((أبغض الرجال إلى الله الألدُّ الخَصِم)) أخرجه أحمد ، والبخاري ، ومسلم ، والترمذي ، والنسائي عن عائشة.[٢]

فضل الضعفاء

---

[١] أخرجه البخارى (٤/١٥١٧ ، رقم ٣٩١٠) ، ومسلم (٤/٢١٢٩ ، رقم ٢٧٧٠) ، وأحمد (٦/١٩٤ ، رقم ٢٥٦٦٤) ، وأبو داود (٤/٣٥٥ ، رقم ٥٢١٩) ، وأبو يعلى (٨/٣٣٥ ، رقم ٤٩٣١).

وللحديث أطراف أخرى منها : "يا معشر المسلمين" .

[٢] أخرجه أحمد (٦/٢٠٥ ، رقم ٢٥٧٤٥) ، والبخاري (٢/٨٦٧ ، رقم ٢٣٢٥) ، ومسلم (٤/٢٠٥٤ ، رقم ٢٦٦٨) ، والترمذي (٥/٢١٤ ، رقم ٢٩٧٦) وقال : حديث حسن . والنسائي (٨/٢٤٧ ، رقم ٥٤٢٣) .

وللحديث أطراف أخرى منها : "إن أبغض الخلق إلى الله الألد الخصم"

من غريب الحديث : "الألَدُّ الخَصِم" : الشديد الخُصومة .

((ابغُونى ضعفاءكم فإنما ترزقون وتنصرون بضعفائكم))
أخرجه أحمد ، وأبو داود ، والترمذي – حسن صحيح – والنسائي ، والحاكم ، وابن حبان ، والطبراني ، والبيهقى عن أبى الدرداء.[1]

* * *

ابن أخت القوم

[1] أخرجه أحمد (١٩٨/٥ ، رقم ٢١٧٧٩) ، وأبو داود (٣٢/٣ ، رقم ٢٥٩٤) ، والترمذي (٢٠٦/٤ ، رقم ١٧٠٢) ، وقال : حسن صحيح . والنسائي (٤٥/٦ ، رقم ٣١٧٩) ، والحاكم (١١٦/٢ ، رقم ٢٥٠٩) ، وقال : صحيح الإسناد . ووافقه الذهبي . وابن حبان (٨٥/١١ ، رقم ٤٧٦٧) ، والبيهقى (٣٤٥/٣ ، رقم ٦١٨١).
ومن غريب الحديث : "ابغُونى ضعفاءكم" : أي اطلبوا لي فقراءكم .

((ابن أخت القوم منهم)) أخرجه أحمد ، والدارمى ، والبخاري ، ومسلم ، والترمذي ، والنسائي ، وابن حبان عن أنس . [1]

***

رمي جمرة العقبة

((أبَيْنِيَّ لا ترموا جمرة العقبة حتى تطلع الشمس)) أخرجه الطيالسى ، وأحمد ، وأبو داود ، والترمذي – حسن صحيح – والنسائي ، وابن ماجه عن ابن عباس.[2]

---

[1] أخرجه أحمد (١١٩/٣ ، رقم ١٢٢٠٨) ، والدارمى (٣١٧/٢ ، رقم ٢٥٢٧) كلاهما أن النبي عليه السلام قاله لنعمان بن مقرن . والبخارى (١٢٩٤/٣ ، رقم ٣٣٢٧) ، ومسلم (٧٣٥/٢ ، رقم ١٠٥٩) ، والترمذي (٥/ ٧١٢ ، رقم ٣٩٠١) ، وقال : حديث حسن صحيح . والنسائي (١٠٦/٥، رقم ٢٦١١) ، وابن حبان (٢٥٧/١٦ ، رقم ٧٢٦٨) .

[2] أخرجه الطيالسى (ص ٣٦١ رقم ٢٧٦٧) ، وأحمد (٢٣٤/١ ، رقم ٢٠٨٢) ، وأبو داود (١٩٤/٢ ، رقم ١٩٤٠) ، والترمذي (٢٤٠/٣ ،

شجرة المسك

((أتؤمن بشجرة المسك وتجدها في كتابكم، فإن البول والجنابة عَرَقٌ يسيل من ذوائبهم إلى أقدامهم كالمسك يعنى أهل الجنة)) أخرجه الطبراني عن زيد بن أرقم.[1]

***

فضل الصلاة على النبي

رقم ٨٩٣) ، وقال : حسن صحيح . والنسائي (٥/٢٧٠ ، رقم ٣٠٦٤) ، وابن ماجه (٢/١٠٠٧ ، رقم ٣٠٢٥) .

ومن غريب الحديث : "أُبَيْنِيٌّ" : تصغير بَنِيٌّ .

[1] أخرجه الطبرانى (٥/١٧٨ ، رقم ٥٠١٠) ، وفى الأوسط (٧/٣٦٥ رقم ٧٧٤١) قال الهيثمى (١٠/٤١٦) : رواه الطبراني في الأوسط وفى الكبير وأحمد ورواه البزار ورجال أحمد والبزار رجال الصحيح غير ثمامة بن عقبة وهو ثقة .

وللحديث أطراف أخرى منها : "والذي نفسي بيده إن الرجل" .

((أتانى المَلَك فقال: يا محمد أما يرضيك أن ربك يقول: إنه لا يصلى عليك أحدٌ من أمتك صلاة إلا صليتُ عليه عشراً، ولا يسلم عليك أحد من أمتك تَسْلِيمَةً إلا سلمتُ عليه عشراً. قلتُ: بلى أىْ رَبِّ)) أخرجه أحمد ، والنسائي ، والدا رمى ؛ وابن أبى عاصم ، وابن حبان ، والحاكم ، والبيهقى في شعب الإيمان عن أبى طلحة .[1]

* * *

رفع الصوت بالتلبية

((أتانى جبريل فأمرنى أن آمر أصحابي ومن معي أن يرفعوا أصواتهَم بالتلبية)) أخرجه مالك ، والشافعي ، وأحمد ، وأبو

---

[1] أخرجه أحمد (٣٠/٤ ، رقم ١٦٤١٠) ، والنسائي (٥٠/٣ ، رقم ١٢٩٥) ، والدا رمى (٤٠٨/٢ ، رقم ٢٧٧٣) ، وابن حبان (١٩٦/٣ ، رقم ٩١٥) ، والحاكم (٤٥٦/٢ ، رقم ٣٥٧٥) ، وقال : صحيح الإسناد ، ووافقه الذهبي . والبيهقى في شعب الإيمان (٢١١/٢ ، رقم ١٥٦٠).
وللحديث أطراف أخرى منها : "أتاني جبريل" ، "أتاني آت" ، "إن ملكا أتاني" .

داود ، والترمذي – حسن صحيح – والنسائي ، وابن حبان ، وابن ماجه ، والحاكم ، والبيهقى عن خلاد بن السائب بن خلاد بن سويد الأنصاري عن أبيه.[1]

***

قراءة القرآن على سبعة أحرف

---

[1] أخرجه مالك (١/٣٣٤ ، رقم ٧٣٦) ، والشافعي (١/١٢٣) ، وأحمد (٤/٥٦ ، رقم ١٦٦١٦) ، وأبو داود (٢/١٦٢ ، رقم ١٨١٤) ، والترمذي (٣/١٩١ ، رقم ٨٢٩) وقال : حسن صحيح . والنسائي في الكبرى (٢/٣٥٤ ، رقم ٣٧٣٤) ، وابن ماجه (٢/٩٧٥ ، رقم ٢٩٢٢) ، وابن حبان (٩/١١١ ، رقم ٣٨٠٢) ، والحاكم (١/٦١٩ ، رقم ١٦٥٢) ، والبيهقى (٥/٤١ ، رقم ٨٧٩٠) .

ومن غريب الحديث : "يرفعوا أصواتَهم بالتلبية" : يرفعون أصواتهم بقول : لبيك اللهم لبيك .

وللحديث أطراف أخرى منها : "أتانى جبريل فقال إن الله يأمرك أن تأمر أصحابك ..." ، "أتانى جبريل فقال لي إن الله يأمرك أن تأمر" .

((أتانى جبريل فقال: إن الله يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن على حرف. فقلت: أسأل الله معافاته ومغفرته فإن أمتي لا تطيق ذلك ثم أتاني الثانية فقال: إن الله يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن على حرفين. فقلت: أسأل الله معافاته ومغفرته وإن أمتى لا تطيق ذلك ثم جاءني الثالثة فقال: إن الله يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن على ثلاثة أحرف. فقلت: أسأل الله معافاته ومغفرته، وإن أمتي لا تطيق ذلك ثم جاءني الرابعة فقال: إن الله يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن على سبعة أحرف، فأيما حرف قرءوا عليه فقد أصابوا)) أخرجه مسلم ، وأبو داود ، والنسائي عن ابن أبى ليلى عن أبى بن كعب.[١]

***

الصفا ذهبا

---

[١] أخرجه مسلم (١/٥٦٢ ، رقم ٨٢١) ، وأبو داود (٢/٧٦ ، رقم ١٤٧٨) ، والنسائي (٢/١٥٢ ، رقم ٩٣٩) .

((أتاني جبريل فقال: إن ربك يقرئك السلام ويقول لك: إن شئت أصبح لهم الصّفا ذهبًا، فمن كفر منهم عذبتُه عذابًا لا أعذبه أحدًا من العالمين، وإن شئتَ فتحتُ لهم باب التوبة والرحمة. قلت: بل باب التوبة والرحمة)) أخرجه الطبراني في الأوسط عن ابن عباس. قال: قالت قريش: ادعُ لنا ربك فيجعل لنا الصفا ذهبًا، فإذا أصبح ذهبًا اتبعناك فدعا ربه فذكره. أخرجه الطبراني، وأحمد ، وعبد بن حميد، الحاكم.[1]

---

[1] أخرجه الطبراني (١٥٢/١٢ ، رقم ١٢٧٣٦) . قال المنذرى (٤٧/٤) : رواته رواة الصحيح ، وقال الهيثمى (١٩٦/١٠) : رجاله رجال الصحيح . وأحمد (٢٤٢/١ ، رقم ٢١٦٦) ، وعبد بن حميد (ص ٢٣٢ ، رقم ٧٠٠) ، والحاكم
(١١٩/١ ، رقم ١٧٤ ، ٣٤٤/٢ ، رقم ٣٢٢٥ ، ٢٦٨/٤ ، رقم ٧٦٠٢) ، وقال في الموضع الأول : صحيح محفوظ ، وفى الثاني : صحيح الإسناد على شرط مسلم ، وفى الثالث : صحيح الإسناد ،

من مات لا يشرك بالله

((أتاني جبريل فقال: بشر أمتك أنه من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة. قلت: يا جبريل وإن سرق وإن زنى. قال: نعم. قلت: وإن سرق وإن زنى. قال: نعم. قلت: وإن سرق وإن زنى. قال: نعم وإن شرب الخمرَ)) أخرجه أحمد ، ومسلم ، والترمذي – حسن صحيح – والنسائي ، وابن خزيمة ، وابن حبان عن أبى ذر.[1]

***

لا تدخل الملائكة بيتا به تمثال أو كلب

وافقه الذهبي في الموضعين الأخيرين ، والبيهقى (٨/٩ ، رقم ١٧٥١٠) .

[1] أخرجه أحمد (١٦١/٥ ، رقم ٢١٤٧١) ، ومسلم (٦٨٨/٢ ، رقم ٩٤) ، والترمذى (٢٧/٥ ، رقم ٢٦٤٤) ، وقال : حسن صحيح . والنسائي في الكبرى (٢٧٤/٦ رقم ١٠٩٥٥) ، وابن خزيمة في التوحيد (ص ٣٤٤ ، ٣٣٥) ، وابن حبان (٣٩٤/١ ، رقم١٧٠) .

الْبَيْتِ كَلْبٌ فَمُرْ بِرَأْسِ التِّمْثَالِ الَّذِي فِي الْبَيْتِ فَلْيُقْطَعْ فَيَصِيرَ
كَهَيْئَةِ الشَّجَرَةِ، وَمُرْ بِالسِّتْرِ فَلْيُقْطَعْ فَلْيُجْعَلْ مِنْهُ وِسَادَتَيْنِ مَنْبُوذَتَيْنِ تُوطَآنِ وَمُرْ بِالْكَلْبِ فَلْيُخْرَجْ)) أخرجه أحمد ، وأبو داود ، والترمذي –حسن صحيح – والنسائي ، والبيهقى عن أبى هريرة.[١]

***

---

[١] أخرجه أحمد (٣٠٥/٢ ، رقم ٨٠٣٢) ، وأبو داود (٧٤/٤ ، رقم ٤١٥٨) ، والترمذي (١١٥/٥ ، رقم ٢٨٠٦) وقال : حسن صحيح ، والنسائي (٢١٦/٨ رقم ٥٣٦٥) ، والبيهقى (٢٧٠/٧ ، رقم ١٤٣٥٣) .
ومن غريب الحديث : "قرام" : هو السِّتْر الرقيق . "مَنْبُوذَتَيْنِ" : مطروحتين مفروشتين "تُوطَآنِ" : المعنى : تهانان بالوطء عليهما والقعود فوقهما والاستناد إليهما .

الله تعالى يقرأ خديجة السلام

((أتاني جبريل فقال: يا رسول الله هذه خديجةُ قد أتتك معها إناءٌ فيه إدام أو طعام أو شَرَاب، فإذا هي قد أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها ومنى وبشرها ببيت في الجنة من قَصَبٍ لا صَخَبَ فيه ولا نَصَبَ)) أخرجه مسلم عن أبى هريرة . [1]

***

بسم الله أرقيك

((أتاني جبريل فقال: يا محمد اشتكيتَ. قلت: نعم. قال: بسم الله أَرْقِيكَ من كل شيء يُؤْذِيك، من شر كل نفس وعين

---

[1] حديث أبى هريرة : أخرجه مسلم (١٨٨٧/٤ ، رقم ٢٤٣٢) ، والبخاري (١٣٨٩/٣ ، رقم ٣٦٠٩) .

ومن غريب الحديث : "الإدَامُ" : الخَلُّ ، وقيل : ما يُؤكَلُ مع الخُبْزِ أي شيء كان مائعًا أو جامدًا .

حاسد بسم الله أَرْقِيكَ والله يَشْفِيك)) أخرجه ابن أبى شيبة ، وأحمد ، ومسلم ، والترمذي ، وابن ماجه عن أبى سعيد .[1]

***

لعن الله الخمر

((أتانى جبريل فقال: يا محمد إن الله لعن الخمرَ وعاصرها ومُعْتَصِرَها وشاربها وحاملها والمحمولةَ إليه، وبائعها ومُبْتَاعها وساقيها ومُسْتَقِيَها)) أخرجه أحمد ، والطبراني ، والحاكم ، والبيهقى في شعب الإيمان ، والضياء عن ابن عباس.[2]

---

[1] أخرجه ابن أبى شيبة (٤٧/٥ ، رقم ٢٣٥٧٦) ، وأحمد (٥٨/٣ ، رقم ١١٥٧٤) ، ومسلم (١٧١٨/٤ ، رقم ٢١٨٦) ، والترمذي (٣٠٣/٣ ، رقم ٩٧٢) وقال حسن صحيح . وابن ماجه (١١٦٤/٢ ، رقم ٣٥٢٣) .

[2] أخرجه أحمد (٣١٦/١ ، رقم ٢٨٩٩) ، والطبراني (٢٣٣/١٢ ، رقم ١٢٩٧٦) . قال الهيثمى (٧٣/٥) : رجاله ثقات . والحاكم (٣٧/٢ ،

فضل يوم الجمعة

((أتاني جبريل وفى يده كالمرآة البيضاء فيها كالنُّكتة السوداء فقلت: يا جبريل ما هذه؟ قال: هذه الجمعة. قلت: وما الجمعة؟ قال: لكم فيها خير. قلت: وما لنا فيها؟ قال: تكون عيدًا لك ولقومك من بعدك، وتكون اليهود والنصارى تبعًا لك. قلت: وما لنا فيها؟ قال: لكم فيها ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله فيها شيئًا من الدنيا والآخرة هو له قَسَمٌ إلا أعطاه إياه، أو ليس له بقسم إلا ذخر له عنده ما هو أفضل منه، أو يتعوذ من شر هو عليه مكتوب إلا صرف عنه من البلاء ما هو أعظم منه. قلت: وما هذه النُّكتة فيها؟ قال: هي الساعة وهى تقوم يوم الجمعة، وهو عندنا سيد الأيام، ونحن ندعوه يوم القيامة يوم المزيد. قلت: مِمَ ذلك؟ قال: لأن ربك

رقم ٢٢٣٤) ، وقال : صحيح الإسناد . ووافقه الذهبي . والبيهقى في شعب الإيمان (٩/٥ ، رقم ٥٥٨٥) ، والضياء (٥١٦/٩ ، رقم ٤٩٩).

اتخذ في الجنة واديًا من مسك أبيض، فإذا كان يوم الجمعة هبط من عِلِّيِّين على كرسيِّه ثم حف الكرسي بمنابر من ذهب مكللة بالجواهر، ثم يجيء النبيون حتى يجلسون عليها، وينزل أهل الغُرَف حتى يجلسون على ذلك الكَثِيب ثم يتجلى لهم ثم يقول: سلوني أُعْطِكم فيسألونه الرضا. فيقول: رضاي أحلُّكم داري وأنالكم كرامتي، فسلوني أُعطكم فيسألونه الرضا فيشهدهم أنه قد رضي عنهم، فيفتح لهم ما لم ترَ عينٌ ولم تسمع أذن ولم يخطر على قلب بشر، وذالكم مقدار انصرافكم من يوم الجمعة، ثم يرتفع ويرتفع معه النبيون والصديقون والشهداء، ويرجع أهل الغرف إلى غرفهم، وهى دُرَّةٌ بيضاء ليس فيها فَصْم ولا قَصْم أو درة حمراء، أو زبرجدة خضراء منها غرفها، وأبوابها مُطَّرِدَة فيها أنهارها متدلية فيها ثمارها فيها أزواجها وخدمها، فليسوا إلى شيء أحوج منهم إلى يوم الجمعة ليزدادوا إلى ربهم نظرًا وليزدادوا منه كرامة)) أخرجه

ابن أبى شيبة ، والبزار ، والطبراني في الأوسط ، وأبو يعلى عن أنس.[1]

***

[1] أخرجه ابن أبى شيبة (٤٧٧/١ ، رقم ٥٥١٧) ، والطبراني في الأوسط (٣١٤/٢ ، رقم ٢٠٨٤) ، وأبو يعلى (٢٢٨/٧ ، رقم ٤٢٢٨) ، قال المنذرى (٣١١/٤) : رواه ابن أبى الدنيا ، والطبراني في الأوسط بإسنادين ، أحدهما جيد قوى ، وأبو يعلى مختصرًا ، ورواته رواة الصحيح ، والبزار . وقال الهيثمى (٤٢١/١٠) : رواه البزار ، والطبراني في الأوسط بنحوه ، وأبو يعلى باختصار ، ورجال أبى يعلى رجال الصحيح ، وأحد إسنادي الطبراني رجاله رجال الصحيح ، غير عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان ، وقد وثقه غير واحد ، وضعفه غيرهم ، وإسناد البزار ، فيه خلاف .

ومن غريب الحديث : "مكللة" : مركبة . "الكثيب" هو التل الصغير . "كالنُكْتة السَوْداء" : أثر قليل كالنُقْطة ، "قَسَم" : أي حظ ، "فَصْمٌ ولا قَصْمٌ" : الفَصْم : كَسْر الشيء من غير إظهار ، والقصم : كسْره وإظهاره . "مُطَّرِدَة فيها أنهارها" : جارية متتابعة .

اللهم اغفر ذنبه وطهر قلبه

((أتحب الزِّنا لأمك؟ قال: لا والله. قال: ولا الناس يحبونه لأمهاتهم. قال: أفتحبه لابنتك؟ قال: لا. قال: ولا الناس يحبونه لبناتهم. قال: أتحبه لأختك؟ قال: لا. قال: ولا الناس يحبونه لأخواتهم. قال: أتحبه لعمتك؟ قال: لا. قال: ولا الناس يحبونه لعماتهم. قال: أتحبه لخالتك؟ قال: لا. قال: ولا الناس يحبونه لخالاتهم فوضع يده عليه وقال: اللهم اغفر ذنبَه وطَهِّرْ قلبَه وحَصِّنْ فَرْجَه)) أخرجه أحمد ، والطبراني عن أبى أمامة قال: أتاه فتى من قريش فقال: ائذن لي في الزنا فزجره القوم، فقال له النبي عليه السلام: ((ادن منى فلما دنا منه ذكره)). أخرجه أحمد، والطبراني، والبيهقي في شعب الإيمان.[1]

---

[1] أخرجه أحمد (٢٥٦/٥ ، رقم ٢٢٢٦٥) ، والطبراني (١٦٢/٨ ، رقم ٧٦٧٩) . قال الهيثمى (١٢٩/١) : رجاله رجال الصحيح .

البركة في الغنم

((اتخذى غنمًا فإن فيها بركة)) أخرجه أحمد ، وابن ماجه ، وابن جرير ، والطبراني ، والبيهقى في شعب الإيمان عن أم هانئ.[1]

* * *

البلد الحرام

((أتدرون أي يوم هذا وأي شهر هذا وأى بلد هذا؟ قالوا: هذا بلد حرام وشهر حرام ويوم حرام. قال: ألا وإن أموالكم ودماءكم عليكم حرام كَحُرْمَةِ يومكم هذا في بلدكم هذا، ألا

---

[1] أخرجه أحمد (٤٢٤/٦ ، رقم ٢٧٤٢١) ، وابن ماجه (٧٧٣/٢ ، رقم ٢٣٠٤) ، قال البوصيرى (٤٠/٣) : هذا إسناد صحيح رجاله ثقات . والطبراني (٤٢٧/٢٤ ، رقم ١٠٤٠) ، والبيهقى في شعب الإيمان (٩٠/٢ ، رقم ١٢٤٧) .

وللحديث أطراف أخرى منها : "اتخذوا الغنم" ، "الغنم بركة" .

وإني فَرَطُكم على الحوض أنتظركم وأُكَاثِر بكم الأمم فلا تُسَوِّدوا وجهي، ألا وقد رأيتموني وسمعتم منى، وستسألون عنى فمن كذب على فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَه من النار، ألا وإنى مُسْتَنْقِذٌ أناسًا ومُسْتَنْقَذٌ منى أناس فأقول: يا رب أصحابي، فيقول: إنك لا تدرى ما أحدثوا بعدك)) أخرجه ابن ماجة عن ابن مسعود . [1]

* * *

سجود الشمس لله تعالى

---

[1] حديث ابن مسعود : أخرجه ابن ماجه (١٠١٦/٢ ، رقم ٣٠٥٧) .
قال البوصيرى (٢٠٧/٣) : هذا إسناد صحيح .
ومن غريب الحديث : "فَرَطكم على الحَوْض" : أي متقدمكم ، ومعناه : أنا أوَّلُكُمْ قُدُومًا على الحَوْض . "فَلْيَتَبَوَّأْ" : أى : لِيَنْزِلْ مَنْزِلَه من النار .

((أتدرون أين تذهب هذه الشمسُ، إن هذه تجرى حتى تنتهي إلى مستقرها تحت العرش فتخر ساجدة، فلا تزال كذلك حتى يقال لها: ارتفعى ارجعى من حيثُ جئتِ فترجع فتصبح طالعة من مَطْلَعِها، ثم تجرى حتى تنتهى إلى مستقرها تحت العرش فتخر ساجدة فلا تزال كذلك حتى يقال: ارتفعى ارجعي من حيث جئت فترجع فتصبح طالعة من مطلعها ثم تجرى لا يستنكر الناس منها شيئًا حتى تنتهي إلى مستقرها ذاك تحت العرش فيقال لها: ارتفعي أصبحي طالعة من مغربك فتصبح طالعة من مغربها، أتدرون متى ذاكم حين لا ينفع نفسًا إيمانُها لم تكن آمنت من قبل أو كسبتْ في إيمانِها خيرًا)) أخرجه مسلم عن أبى ذر.[1]

***

---

[1] أخرجه مسلم (١٣٨/١ ، رقم ١٥٩) ، وابن حبان (٢١/١٤ ، رقم ٦١٥٣) .

الغيبة والبهتان

((أتدرون ما الغِيبَة، ذكرك أخاك بما يكره. قيل: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول، قال: إن كان فيه ما تقول فقد اغتبتَّه، وإن لم يكن فيه فقد بَهَتَّه)) أخرجه أحمد ، ومسلم ، وأبو داود ، والترمذي عن أبى هريرة.[1]

***

المفلس من أمتي

((أتدرون ما المُفْلِس، إن المفلس من أمتي يأتى يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتى قد شَتَم هذا وقَذَف هذا وأكل مال هذا وسَفَك دم هذا وضرب هذا، فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته، فإن فَنِيَت حسناتُه قبل أن يَقْضِى ما عليه أُخِذَ

---

[1] أخرجه أحمد (٣٨٤/٢ ، رقم ٨٩٧٣) ، ومسلم (٢٠٠١/٤ ، رقم ٢٥٨٩) ، وأبو داود (٢٦٩/٤ ، رقم ٤٨٧٤) ، والترمذي (٣٢٩/٤ ، رقم ١٩٣٤) ، وقال : حسن صحيح .

من خطاياهم فطُرَحت عليه ثم طُرِحَ في النار)) أخرجه أحمد ، ومسلم ، والترمذي عن أبى هريرة.[1]

الله أرحم من الأمة على ولدها

((أترون هذه طارحةً ولدها في النار، لَلَّهُ أرحمُ من عباده من هذه بولدها)) أخرجه البخاري ، ومسلم عن عمر.[2]

***

تكونوا ربع أهل الجنة

((أترضون أن تكونوا ربع أهل الجنة، أترضون أن تكونوا ثلث أهل الجنة، أترضون أن تكونوا شطر أهل الجنة، إن الجنة لا يدخلها إلا نَفسٌ مسلمة، ما أنتم في الشرك إلا كالشعرة

---

[1] أخرجه أحمد (٣٣٤/٢ ، رقم ٨٣٩٥) ، ومسلم (١٩٩٧/٤ ، رقم ٢٥٨١) ، والترمذي (٦١٣/٤ ، رقم ٢٤١٨) ، وقال : حسن صحيح .

[2] أخرجه البخاري (٢٢٣٥/٥ ، رقم ٥٦٥٣) ، ومسلم (٢١٠٩/٤ ، رقم ٢٧٥٤) .

البيضاء في جلد الثور الأسود أو كالشعرة السوداء في جلد الثور الأحمر)) أخرجه أحمد ، والترمذي عن ابن مسعود.[1]

والله أغير مني

((أتعجبون من غَيْرَةِ سعد، والله لأنا أغير منه، والله أغير منى، ومن أجل غيرة الله حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن، ولا أحد أحب إليه العذر من الله. من أجل ذلك بعث المرسلين مبشرين ومنذرين، ولا أحدَ أحبُّ إليه المَدْح من الله، ومن أجل ذلك وعد الجنة)) أخرجه أحمد ، والبخاري ، ومسلم عن المغيرة.[2]

---

[1] أخرجه أحمد (١/٣٨٦ ، رقم ٣٦٦١) والترمذي (٤/٦٨٤ رقم ٢٥٤٧) وقال : حسن صحيح وابن ماجه (٢/١٤٣٢ ، رقم ٤٢٨٣) . وللحديث أطراف أخرى منها : "والذي نفس محمد بيده إني لأرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة" .

[2] أخرجه أحمد (٤/٢٤٨ ، رقم ١٨١٩٣) ، والبخاري (٦/٢٦٩٨ ، رقم ٦٩٨٠) ، ومسلم (٢/١١٣٦ ، رقم ١٤٩٩) .

* * *

فقراء المهاجرين أول زمرة تدخل الجنة

((أتعلم أول زُمْرَةٍ تدخل الجنة من أمتي فقراء المهاجرين، يأتون يوم القيامة إلى باب الجنة ويستفتحون فيقول لهم الخَزَنَةُ: أوقد حُوسِبْتُم؟ قالوا: بأي شيء نحاسب، وإنما كانت أسيافُنا على عواتقنا في سبيل الله حتى مِتْنا على ذلك، فيفتح لهم فيَقِيلُون فيها أربعين عامًا قبل أن يدخلها الناس)) أخرجه الحاكم ، والبيهقي في شعب الإيمان عن ابن عمرو.[1]

* * *

---

[1] أخرجه الحاكم (٢/٨٠ ، رقم ٢٣٨٩) ، وقال : صحيح على شرط الشيخين ، ووافقه الذهبي . والبيهقي في شعب الإيمان (٤/٢٨ ، رقم٤٢٦٠) .

ومن غريب الحديث : "زمرة" : طائفة أو جماعة . "فيَقِيلُون" : يستريحون . والمَقيل والقَيْلُولة الاسترِاحة نصف النهار وإن لم يكن معها نوم .

أتبع السيئة الحسنة

((اتقِ الله حيثما كنتَ وأَتْبِعِ السيئةَ الحسنةَ تَمْحُها وخَالِقِ الناسَ بخُلُقٍ حَسَنٍ)) أخرجه أحمد ، والترمذي – حسن –والدا رمى ، والحاكم ، والبيهقى في شعب الإيمان ، والضياء عن أبى ذر .[1]

***

إذا سمعت ما تكره من المجلس

((اتقِ الله وإذا كنت في مجلس فقمت منه فسمعتهم يقولون ما يعجبك فأتِهِ، وإذا سمعتهم يقولون ما تكره فلا تأته)) أخرجه

---

[1] حديث أبى ذر : أخرجه أحمد (١٥٣/٥ ، رقم ٢١٣٩٢) ، والترمذي (٣٥٥/٤ ، رقم ١٩٨٧) وقال : حسن صحيح . والدا رمى (٤١٥/٢ ، رقم ٢٧٩١) ، والحاكم (١٢١/١ ، رقم ١٧٨) وقال : صحيح على شرط الشيخين ، ووافقه الذهبي . والبيهقى في شعب الإيمان (٢٤٥/٦ ، رقم ٨٠٢٦) .

الطيالسى ، وأحمد ، وعبد بن حميد ، والبغوى ، والباوردى ، وابن قانع ، والطبراني ، وأبو نعيم في الحلية ، والبيهقى في شعب الإيمان ، عن ضرغامة بن عليبة بن حرملة العنبرى عن أبيه عن جده.[1]

***

اتقوا الله في البهائم

---

[1] أخرجه الطيالسى (ص ١٦٧ رقم ١٢٠٧) ، وأحمد (٣٠٥/٤ ، رقم ١٨٧٤٢) ، وعبد بن حميد (ص ١٦١ ، رقم ٤٣٣) ، والبغوى (١٨١/٢ رقم ٥٣٦) وابن قانع (٢١٠/١) ، والطبراني (٦/٤ رقم ٣٤٧٦) وأبو نعيم في الحلية (٣٥٨/١) ، والبيهقى في شعب الإيمان (٥٨/٧ ، رقم ٩٤٥١) ، قال الهيثمى (٣١٨/١) : رجاله موثقون ، وضرغامة وحرملة ذكرهما ابن حبان في الثقات .

((اتقوا الله في هذه البهائم كلوها سِمَانًا واركبوها صِحَاحًا)) أخرجه أحمد ، والطبراني عن سهل بن الحنظلية.[1]

صلوا خمسكم

((اتقوا الله وصَلُّوا خَمْسَكم، وصُوموا شهركم، وأدوا زكاة أموالكم، وأطيعوا ذا أمركم تدخلوا جنةَ ربكم)).

الحديث أخرجه الترمذي حسن صحيح ، والحاكم ، وابن حبان ، والبيهقى في شعب الإيمان عن أبى أمامة ، ورواه الخلعى في فوائده فقال : ((وحجوا بيت ربكم، وأدوا زكاتكم طيبة بها أنفسكم)).[2]

---

[1] أخرجه أحمد (١٨٠/٤ ، رقم ١٧٦٦٢) ، قال الهيثمى (٩٦/٣) : رجاله رجال الصحيح . والطبراني (٩٦/٦ ، رقم ٥٦٢٠) ، والطبراني في الشاميين (٣٣٢/١ ، رقم ٥٨٥) .

[2] أخرجه الترمذي (٥١٦/٢ ، رقم ٦١٦) وقال : حسن صحيح . وابن حبان (٤٢٦/١٠ رقم ٤٥٦٣) والحاكم (٦٤٦/١ ، رقم ١٧٤١) ، وقال

***

الملاعن الثلاثة

((اتقوا الملاعن الثلاث: البِرَاز في الموارد، وقارعة الطريق، والظل)) أخرجه أبو داود ، وابن ماجه ، والطبراني ، والحاكم ، والبيهقى عن معاذ بن جبل.[1]

***

: صحيح على شرط مسلم . ووافقه الذهبي . والبيهقى في شعب الإيمان (٦/٥ ، رقم ٧٣٤٨) .

[1] أخرجه أبو داود (١/٧ ، رقم ٢٦) ، وابن ماجه (١/١١٩ ، رقم ٣٢٨) ، والطبراني (٢٠/١٢٣ ، رقم ٢٤٧) ، والحاكم (١/٢٧٣ ، رقم ٥٩٤) ، وقال : صحيح الإسناد . ووافقه الذهبي . والبيهقى (١/٩٧ ، رقم ٤٧٤) .

ومن غريب الحديث : "البِرَاز" : بكسر الباء كناية عن الغائط . (المَوارِد) : أي المَجارِى والطُرق إلى المَاء ، واحِدُها مَوْرِد . "قارِعَةُ الطريق" : أعلاه أو أوسطه .

اتقوا النار ولو بشق تمرة

((اتقوا النار ولو بِشِقِّ تمرة)) أخرجه البزار ، والطبراني ، والضياء.[1]

((اتقوا النار ولو بشق تمرة، فإن لم تجد فبكلمة طيبة)) أخرجه أحمد ، والبخاري ، ومسلم ، وابن حبان عن عدى بن حاتم.[2]

* * *

---

[1] أخرجه البزار كما في كشف الأستار (٤٤٢/١ ، رقم ٩٣٤) ، والطبراني في الأوسط (٧٣/٤ ، رقم ٣٦٤٤) قال الهيثمى (١٠٦/٣) : رواه البزار والطبراني في الأوسط ، ورجال البزار رجال الصحيح . والضياء (٦٨/٦ ، رقم ٢٠٤٨) قال الحافظ في مختصر زوائد البزار (٣٨٨/١ ، رقم ٦٣٩) : إسناده صحيح .

[2] أخرجه أحمد (٢٥٦/٤ ، رقم ١٨٢٨٠) والبخاري (٢٢٤١/٥ ، رقم ٥٦٧٧) ، ومسلم (٧٠٤/٢ ، رقم ١٠١٦) ، وابن حبان (٢٢٠/٢ ، رقم ٤٧٣) .

أتموا الركوع والسجود

((أتموا الركوع والسجود، فوالذى نفسي بيده إني لأراكم من وراء ظهري إذا ركعتم وإذا سجدتم)) أخرجه الطيالسى ، وأحمد ، والبخاري ، ومسلم ، والنسائي ، وابن حبان عن أنس.[1]

***

أتموا الصف الأول

((أتموا الصف المقدم ثم الذي يليه، فما كان من نقص فليكن في الصف المؤخر)) أخرجه أحمد ، وأبو داود ، والنسائي ،

---

[1] أخرجه الطيالسى (ص ٢٦٧ ، رقم ١٩٩٥) ، وأحمد (٣/١١٥ ، رقم ١٢١٦٩) ، والبخاري (٦/٢٤٤٩ ، رقم ٦٢٦٨) ، ومسلم (١/٣٢٠ ، رقم ٤٢٥) ، والنسائي (٢/٢١٦ ، رقم ١١١٧) ، وابن حبان كما في إتحاف المهرة للحافظ (٢/١٧٠ ، رقم ١٤٨٧) .

وابن خزيمة ، وأبو يعلى ، وابن حبان ، والبيهقى ، والضياء عن أنس.[1]

ويل للأعقاب من النار

((أتموا الوضوء، ويل للأعقاب من النار)) أخرجه ابن ماجه عن خالد بن الوليد.[2]

---

[1] أخرجه أحمد (٣/٢٣٣ ، رقم ١٣٤٦٤) ، وأبو داود (١/١٨٠ ، رقم ٦٧١) ، والنسائي (٢/٩٣ ، رقم ٨١٨) ، وابن خزيمة (٣/٢٢ ، رقم ١٥٤٦) ، وأبو يعلى (٥/٤٥٠ ، رقم ٣١٦٣) ، وابن حبان (٥/٥٢٨ ، رقم ٢١٥٥) ، والبيهقى (٣/١٠٢ ، رقم ٤٩٧٢) ، والضياء (٦/٣٥٠ ، رقم ٢٣٧٩) .

[2] أخرجه ابن ماجه (١/١٥٥ ، رقم ٤٥٥) ، قال البوصيرى (١/٨٢) : هذا إسناد حسن ما علمت في رجاله ضعفًا .

ومن غريب الحديث : "ويل" : الوَيْلُ : واد في جهنم لو أُرسلت فيه الجبال لماعت من حره ، ومن معانى الوَيْل : الحُزْنُ والهَلاك والمشَقَّة . "للأعقاب" : مفردها : العَقِبُ : وهو

((أتى الله بعبد من عباده آتاه الله مالاً فقال له: ماذا عملت في الدنيا؟ فقال: ما عملت من شيء يا رب إلا أنك آتيتني مالاً فكنت أبايع الناس، وكان من خلقي أن أُيَسِّر على المُوسر وأَنْظِر المُعْسِر، قال الله: أنا أحق بذلك منك، تجاوزوا عن عبدي)) أحرجه الحاكم عن حذيفة.[1]

***

أتيت بالبراق فركبته

مُؤخر القدم ، وهى مؤنثة ، والوعيد إنما هو للأعقاب التي صفتها أن لا تعمم بالماء أثناء الطهارة .

[1] أخرجه الحاكم (٣٣٥/٢ ، رقم ٣١٩٧) وقال : صحيح على شرط مسلم . ووافقه الذهبي . وأخرجه أيضًا : مسلم (١١٩٥/٣ ، رقم ١٥٦٠) .

وللحديث أطراف منها : "إن رجلاً ممن كان قبلكم" .

((أُتِيتُ بالبُرَاق فركبتُه أنا وجبريل فسار بنا، فكان إذا أتى على جبل ارتفعت رجلاه وإذا هبط ارتفعت يداه، حتى صار إلى أرض غُمَّةٍ مُنْتِنَةٍ ثم أفضينا إلى أرض فيحاء طيبة. قلت: يا جبريل كنا نسير في أرض غمة منتنة ثم إلى أرض فيحاء طيبة، فقال: تلك أرض النار، وهذه أرض الجنة، فأتيت على رجل وهو قائم يصلى فقال من هذا معك يا جبريل؟ قال: أخوك محمد فرحب بى ودعا لي بالبركة وقال: سل لأمتك اليسر. قلت: من هذا يا جبريل؟ قال: أخوك موسى. فقلت: على من كان صوته وتَذَمُّرُه أَعَلَى ربه؟ قال: نعم إنه يعرف ذلك منه وحِدَّته، ثم سرنا فرأيت مصابيح وضوءا، فقلت: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذه شجرة أبيك إبراهيم. قلت: أدنو منها. قال: نعم فدنونا منها فدعا لي بالبركة ورحب بى، ثم مضينا إلى بيت المقدس فربطت الدابة بالحَلْقَة التي يربط بها الأنبياء، ثم دخلت المسجد ونشرت لي

الأنبياء من سمى الله في كتابه، ومن لم يسمِّ فصليت بهم إلا هؤلاء)).

قال ابن عبد البر: "عن عاصم عن عبد الله بن سرجس ﷺ، قال: كان النبي ﷺ فذكر الحديث مثله سواء، وزاد وسئل عاصم ﷺ عن الحور بعد الكون، قال: صار بعد ما كان. وقال: يعني: رجع عما كان عليه من الخير، ومن رواه الحور بعد الكور فمعناه أيضا مثل ذلك، أي: رجع عن الاستقامة، وذلك مأخوذ عندهم من كور العمامة، وأكثر الرواة إنما يروونه بالنون".

قال المباركفوري: "((اللهم أنت الصاحب في السفر))، أي: الحافظ والمعين والصاحب في الأصل الملازم، والمراد مصاحبة الله إياه بالعناية والحفظ والرعاية، فنبه بهذا القول على الاعتماد عليه والاكتفاء به عن كل مصاحب سواه،

((والخليفة في الأهل الخليفة))، من يقوم مقام أحد في إصلاح أمره.

قال التوربشتي: المعنى أنت الذي أرجوه وأعتمد عليه في سفري بأن يكون معيني وحافظي، وفي غيبتي عن أهلي أن تلم شعثهم وتداوي سقمهم وتحفظ عليهم دينهم وأمانتهم، ((أللهم اصحبنا))، بفتح الحاء من باب سمع يسمع بنصحك، أي: احفظنا بحفظك في سفرنا، ((واقلبنا))، بكسر اللام من باب ضرب يضرب بذمة، وفي بعض النسخ بذمتك أي: وارجعنا بأمانك وعهدك إلى بلدنا، ((أللهم ازو لنا الأرض))، أي: إجمعها واطوها من زاوي يزوي زيا، ((وهون))، أمر من التهوين، أي: يسر من ((وعثاء السفر))، بفتح الواو وإسكان العين المهملة وبالثاء المثلثة بالمد، أي: شدته ومشقته، وأصله من الوعث وهو الرمل والمشي فيه يشتد على صاحبه ويشق، يقال: رمل أوعث وعثاء، ((وكآبة المنقلب))، الكآبة

بفتح الكاف وبالمد، وهي تغير النفس بالانكسار من شدة الهم والحزن، يقال: كئب كآبة واكتئب فهو مكتئب وكئيب، والمعنى: أنه يرجع من سفره بأمر يحزنه إما إصابة في سفره وإما قدم عليه مثل أن يعود غير مقضي الحاجة، أو أصابت ماله آفة، أو يقدم على أهله فيجدهم مرضى، أو قد فقد بعضهم كذا في النهاية، و((المنقلب))، بفتح اللام المرجع. قوله: ((واخلفنا))، بضم اللام من باب نصر، أي: كن خليفتنا، ((ومن الحور بعد الكور))، أي: من النقصان بعد الزيادة وقيل من فساد الأمور بعد صلاحها، وأصل الحور نقض العمامة بعد لفها، وأصل الكور من تكوير العامة وهو لفها وجمعها، ((ومن دعوة المظلوم))، أي: أعوذ بك من الظلم فإنه يترتب عليه دعاء المظلوم، ودعوة المظلوم ليس بينها وبين الله حجاب، ففيه التحذير من الظلم ومن التعرض لأسبابه.

قال الطيبي: فإن قلت دعوة المظلوم يحترز عنها سواء كانت في الحضر أو السفر، قلت: كذلك الحور بعد الكور، لكن السفر مظنة البلايا والمصائب والمشقة فيه أكثر فخصت به، انتهى. ويريد به أنه حينئذ مظنة للنقصان في الدين والدنيا وباعث على التعدي في حق الرفقة وغيرهم لا سيما في مضيق الماء كما هو مشاهد في سفر الحج فضلا عن غيره، ((ومن سوء المنظر))، بفتح الظاء في الأهل والمال، أي: من أن يطمع ظالم أو فاجر في المال والأهل، قاله القارى، وقال في "المجمع": سوء المنظر في الأهل والمال أن يصيبهما آفة بسوء النظر إليه".

قال النووي: ومعنى قوله: ((الحور بعد الكون أو الكور الخ))، قال النووي بعد ذكر كلام الترمذي هذا: وكذا قال غيره من العلماء معناه بالراء والنون جميعا الرجوع من الاستقامة، أو الزيادة إلى النقص، قالوا: ورواية الراء مأخوذة من تكوير

العمامة، وهو لفها وجمعها، ورواية النون مأخوذة من الكون مصدر كان يكون كونا إذا وجد واستقر، أي: أعوذ بك من النقص بعد الوجود والثبات.

قال المازري في رواية الراء: "قيل أيضا: إن معناه أعوذ بك من الرجوع عن الجماعة بعد أن كنا فيها، يقال: كان عمامته إذا لفها وحارها إذا نقضها، وقيل: نعوذ بك من أن تفسد أمورنا بعد صلاحها كفساد العمامة بعد استقامتها على الرأس، وعلى رواية النون.

قال أبو عبيد: سئل عاصم ﷺ عن معناه، فقال: ألم تسمع قولهم: ((حار بعد ما كان))، أي أنه كان على حالة جميلة فرجع عنها، انتهى".

***

باب التسمية قبل ركوب البعير

عن عمر رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: ((إن على ظهر كل بعير شيطانا، فإذا ركبتموها، فقولوا: بسم الله))[1].

*****

[1] حديث ابن عمر. ضعيف: أخرجه ابن السنى في عمل يوم وليلة (ص١٨٦ ، ٤٩٨).

الفهرس

*****